عدنان سعد الدين

حوار
مع الأستاذ رجاء جارودي

الناشر : مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت : ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

أجرى هذا الحوار عام ١٩٨٤م

دار التضامن للطباعة
٢٢ شارع سامى - لاظوغلى
ت : ٣٥٥٠٥٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

جنيت بروضها وردا وشوكا

وذقت بكأسها شهدا وصابا

فلم ار غير حكم الله حكما

ولم ار دون باب الله بابا

كان هذا حال المفكر الفرنسي والفيلسوف الشهير روجيه جارودي، وهو يعلن للعالم أجمع أنه ألفى ضالته وعثر على مبتغاه، فاعتنق الإسلام، وآمن برسالته بعد رحلة شاقة استغرقت زهاء خمسين عاما في محراب الفكر والبحث والثقافة، وفي آفاق العلم والفلسفة والسياسة، فقد تعمق

جارودي ردحا من الزمان في الفكر اليساري والمبادىء الماركسية، حتى عد واحداً من قادة التنظيم الشيوعي، ليس في فرنسا وحدها وإنما في القارة الاوربية بأسرها، كما صال وجال في ميدان الفلسفة دراسة وبحثا ونقدا كواحد من أبرز المفكرين المعاصرين، وخاض غمار السياسة، في بلد متقدم يباهي دول العالم أنه الساحة الأولى في الحفاظ على الحرية والديمقراطية، فكان مرشح الحزب الشيوعي لمنصب رئيس الجمهورية الفرنسية.

بيد أن الرجل بعقله المستنير وبصيرته النافذة أدرك أن هذه الحضارة التي تسود عالم الغرب لم تنته بالإنسان إلى رحاب الهناءة والسعادة، ولن تبلغ به عالم الطمأنينة وشاطيء الأمان، بل إنها تفتك به فتك السل بمرضاه، وتفترس روحه وخلاياه كما يفترس السرطان ضحاياه.

منذ أكثر من خمسة عشر قرنا والصراع في الغرب على أشده حول مفهوم الإيمان، وتعريف العقيدة، وتحديد سلطة الكهنوت، فلا يكاد ينطفيء أوار حرب حتى تستعر نار حرب أخرى، فهذه تعرف بحرب السنوات السبع، وتلك

تسمى حرب المائة عام، ومازال الأمر كذلك حتى انتهى هذا التطاحن إلى أن يسجن الدين في أبراج مشيدة، لنرى دنيا بغير دين، وديناً بدون دنيا.

وخلال هذه القرون، وفي خط مواز للنزاع الكنسي، كان الصراع حاداً بين الأغنياء والفقراء، وعلى مستوى جميع الطبقات والفئات، فالنظم الاقطاعية وماسبقها ورافقها من استعباد الشعوب، وفرض أنظمة الرق والقنانة وعبيد الارض على الفلاحين، ثم تسلط الرأسمالية البشع وما أفرزه من استغلال جشع للعمال والكادحين، جعلهم فريسة الجوع والفقر والمرض والطغيان.

إن أخطر ما أفرزته النهضة الصناعية في المجتمعات الغربية جشع الرأسماليين وهدر حقوق العمال، فصاحب المصنع يطمع أن يمتص مايستطيع من جهد العامل بأقل مايمكن أن يؤديه له من أجر، فاذا مانال العامل حقوقه أوبعضها كان ذلك على حساب الأرباح الفاحشة التي يعمل الرأسمالي على زيادتها بكل سبيل، مما أدّىٰ إلى صراع مرير بين هاتين الفئتين، وإلى كفاح صار إلى هزيمة الرأسمالية

وانتصار الشيوعية في بقاع كثيرة في العالم، لتحل الدولة محل صاحب رأس المال، فاذا العامل يواجه سلطاناً أشد وأقسى من سطوة رأس المال، لان الدولة تزعم أنها تحكم باسم الطبقة العاملة، وأن العمال هم المالكون الحقيقيون للمصانع وأدوات الانتاج، ومن ثم فلم يعد بمقدورهم أن يرفعوا أصواتهم باحتجاج للمطالبة بالاجور المجزية والحقوق، أو بالشكوى لرفع الظلم عنهم كما كانوا من قبل يفعلون، بل إن احتجاجهم يقابل في ظل ملكية الدولة، بالبطش والقسوة البالغة، كما حدث في المجر وتشيكوسلوفاكيا من قبل، وفي بولونيا بعد ذلك، بل وفي عدد من البلدان الشيوعية التي نمت فيها طبقة ثالثة تحكم باسم العمال، وتعيش على حسابهم عيشة أقرب ماتكون إلى حياة الأباطرة والقياصرة.

فالعامل الذي تحرر من سياط الرأسماليين، وقع في جحيم الشيوعيين الذين يملكون كل اسباب التسلط، وجميع وسائل القهر وسطوة الحزب وأجهزة الأمن.

نظر جارودي إلى الإنسان فرآه يلهث خلف فردوس

مفقود. وكلما لاح له وحث إليه الخطا وجده سرابا خادعا. بل جحيما يكتوي بناره ويهوي به في مكان سحيق. فأمعن فيلسوفنا النظر في كينونة هذا المخلوق العجيب، وغاص في أعماق التاريخ يقلب صفحاته، وعكف على دراسة الأديان والمذاهب والفلسفات، وتعمق في سيرة الانسان، مبدئه ومنتهاه، لماذا خلق؟ ومن أين أتى؟ وفي أي درب يسير؟ وماهو دوره؟ وماهي غايته؟ وأخيراً وليس آخراً ماوظيفته في هذا الكون ومارسالته؟ وإلى أين المصير؟

وجاءته الإجابة الشافية بعد تساؤل دام نصف قرن ونيفا من الرسالة الخاتمة والدعوة القائمة، فآمن بالإسلام وأعلنَ ذلك للعالمين.

بدأ جارودي رحلة أخرى ميمونة شعر فيها بدفء الإيمان وعظمة الاسلام، وانساح في آفاق الفكر الاسلامي، فلم يبلغ له نهاية، وغاص في محيطه ليصل إلى شاطئه دون جدوى، بيد أنه تجاوز في هذه الرحلة من المراحل ثلاثا:

١ـ اعتبران توقف المد الاسلامي في زحفه الأول كان

نكبة على الانسانية جمعاء وعلى العرب (بصفة خاصة)

وقد تمثلت هذه المرحلة في التفات جارودي إلى عطاء الاسلام في مجالات العلم والمعرفة في بغداد والقيروان وفاس وقرطبة، وقد أبرز ذلك في كتابه: حوار الحضارات.

٢ـ تمثلت المرحلة الثانية في التفات جارودي إلى القيم الروحية والحضارات الانسانية في برنامجه الذي حذر فيه الفرنسيين والغرب من طغيان الاستهلاك والمادية واختلال التوازن الاجتماعي.

٣ـ اما المرحلة الثالثة من التطور والتواصل في فكر جارودي فإننا نقرأها في الكتابين اللذين خصهما للحديث عن الاسلام، وهما: وعود الاسلام، والاسلام مستقبلنا، مشيرا إلى أن الغرب يجهل الإسلام منذ قرون، ويرى فيه العدو اللدود، ويدين جارودي هذا التصرف الأعمى، وينادي بحماسة وإلحاح إلى حوار حقيقي، ذاكراً مزايا للإسلام لايمكلها سواه، ليزيح عن أعين وعقول قومه الحزازات والخلفيات ومركبات النقص التي جعلتهم عمياً

عن رؤية النور والحقيقة.

- لقد تحدث جارودي بإسهاب عن المأزق الذي تردت فيه الحضارة الغربية جراء ماديتها وانشطارها ورؤيتها الجزئية للانسان والكون والطبيعة. فالحوار بين الحضارات أضحى ضرورة ملحة. فالجدل العقيم لم يعد اليوم قائما أو مطلوبا بين رأسمالية غربية استعمارية واشتراكية سوفياتية، فكل منهما تمثل اليوم نفس الهدف والغاية.

- تحدث جارودي كذلك عن الايمان والسياسة وخصائص التشريع الإسلامي وإنسانيته ومرونته وصلاحه لكل الأمكنة والأزمان، وارتكاز السياسة الإسلامية على الشورى، وما أفرزته هذه الخصائص في التشريع الاسلامي من ازدهار العلوم والمعارف في كل بلد حل فيه المسلمون، وكيف أثروا في المسيرة الحضارية الانسانية في الطب والفلك والجبر والكيمياء والفلسفة.

- فالاسلام في نظر جارودي يمثل قوة حية ليس في ماضيه بل في كل مايمكن أن يبتكره ويقدمه في الحاضر

والمستقبل لسعادة البشرية جمعاء، ثم عرج على الدولة الصهيونية معلناً أنها لاتمتلك في وجودها أي شرعية توراتية أو قانونية، وأن جميع تصرفاتها الداخلية والخارجية برهان دامغ على عنصريتها وإرهابها، ومن الهزل وخطل الرأي مطالبة منظمة التحرير في الاعتراف بهذه الدولة الغاصبة، لأن الاعتراف يعني تزكية الجريمة الصهيونية وتصفية الشعب صاحب الحق المشروع.

ـ لقد أعلن جارودي بشجاعة عما توصل إليه من نتائج وآراء منصفة للإسلام ولشعوب الامة الاسلامية، ولاسيما عرب فلسطين، الأمر الذي ألحق به صنوف العداء وألوان الأذى. وهي ضريبة يدفعها كل ذوي الرأي والعقيدة، ولو كانت تكلفهم في بعض الاحيان حياتهم ثمنا لما يعتقدون.

على هامش مؤتمر أدبي للشعر كان هذا اللقاء مع السياسي الفيلسوف روجيه جارودي، أو مع المفكر المؤمن رجاء جارودي، جرى فيه حوار فسيح حول القرآن الكريم والسنة المطهرة والسيرة العطرة وأمور السياسة وقضايا الاقتصاد وشؤون الفكر، نسجله في هذا الكتيب رأيا معلنا

تعم فائدته ونعمد إلى تصحيح الخطأ الذي ينبه اليه المخلصون.

والحمد لله في الأولين والآخرين

عدنان سعد الدين



بدأ هذا الحوار الذي استمر زهاء ثلاث ساعات مع الاستاذ الكبير **روجيه جارودي** بتقديم مجموعة من الكتب التي تشرح مأساة كل مواطن في سورية، وكان بعضها مطبوعا باللغة العربية لتقرأها السيدة العربية الفلسطينية الملتزمةبزي المرأة المسلمة زوجة الاستاذ **جارودي** ، والبعض الآخر مطبوعا باللغة الفرنسية، ليمعن النظر بها ويدرك كم بلغت مأساة هذا الشعب العربي المسلم في سورية الجريح.

الاستاذ جارودي:

قدمت مشروعاً مدروساً لسفير عربي في باريس يرمي إلى مناهضة العمل الذي يمعن في تشويه صورة العرب وسمعة

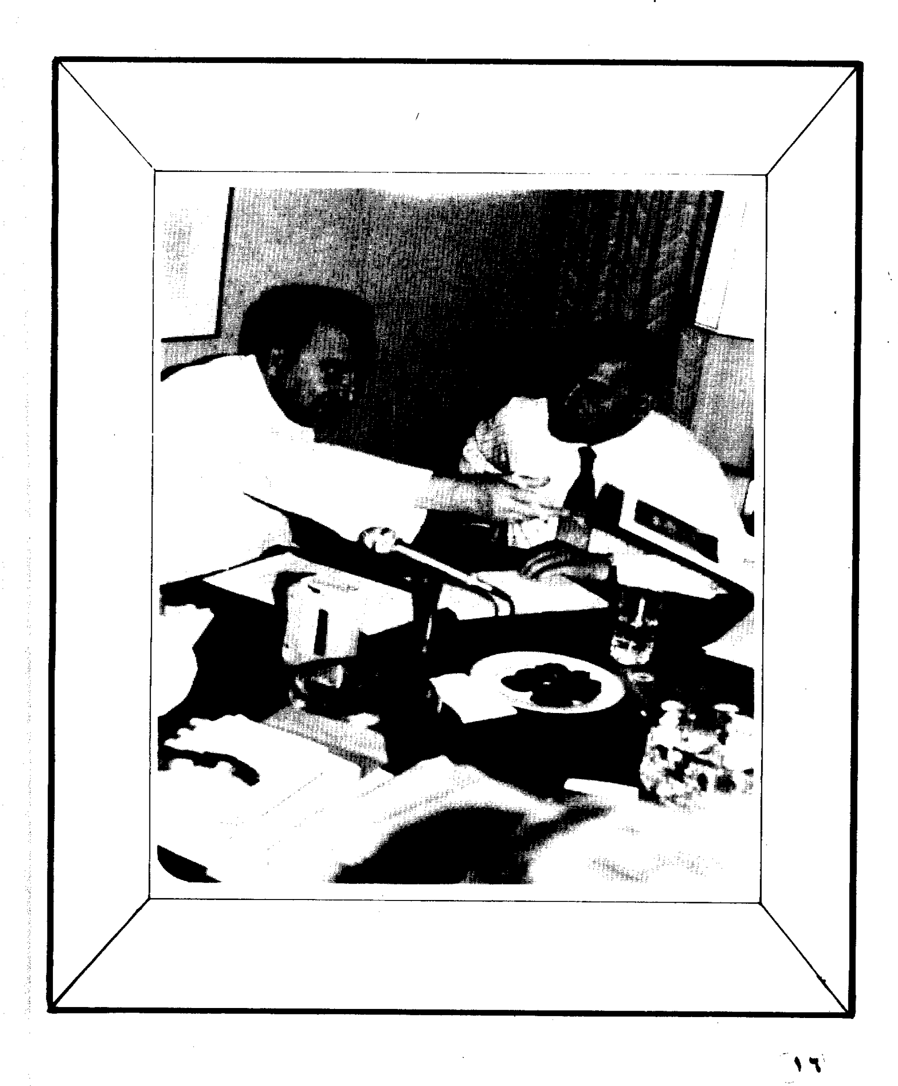
المسلمين في الغرب، بتدبير من الصهيونية العالمية. ويقوم هذا المشروع على ثلاثة محاور، أولها: إنشاء مركز في أوربا لدعم هذا التحرك في دحض الهجمة على العرب والمسلمين، وثانيها إقامة (لوبي) عربي إسلامي في أوربا يكون سنداً قوياً للدفاع عن الإسلام بالوسائل المشروعة، وهي كثيرة ومتاحة، وثالثها: تأسيس وكالة أنباء إسلامية تغطي أخبار العالم الإسلامي.

فرص انتشار الاسلام في اوربا

يستطرد الأستاذ **جارودي** في حديثه فيقول:

إن فرص انتشار الاسلام في أوربا في الوقت الراهن أفضل منها في القرن السابع الميلادي، ولكن الذي يحول دون ذلك ويصدّ الغربيين عن الالتفات للاسلام إنما هو سلوك العرب والمسلمين والمؤسسات الخاصة بهم، ولاسيما مراكز الاعلام العربية التي يزيد عددها في أوربا على أربعة عشر مركزاً ووكالة أنباء، وكل واحد أو واحدة منها تتحرك إعلاميا في دائرة برامجها المحدودة على نطاق اقليمي

وشخصي، وليس على مستوى القضايا الكبرى أو على مستوى الأمة الاسلامية. وبالتالي فإن ضعف الإعلام العربي والاسلامي في الغرب ناجم عن سببين أساسيين: تعددها وتنازعها وتناقضها وتنافسها، عوضاً عن توحيد جهودها وخططها وطريقة أدائها الرديء ودعايتها المؤذية. فكل مركز أو مايشبهه يخاطب الأوربيين قائلا: لدينا مصانع وإنشاءات وعمارات، ويعرض على الرأي العام صور المدن والشوارع والمنشآت ، وهذا كله لايثير لدى الغربيين أي اهتمام، فلديهم من هذا الكثير، وهم أسبق منا في ميادين العمران والصناعة منذ سنوات طوال. إن الذي يهم الغرب، ويجذب أنظار الأوربيين، ويشدهم إلى إعلامنا هو اهتمامنا بمشكلاتهم والتفكير فيها، وتقديم الحلول لأمراضها المستعصية، فالغرب يواجه مشكلات إنسانية كبيرة.



المشكلات الأساسية في أوربا

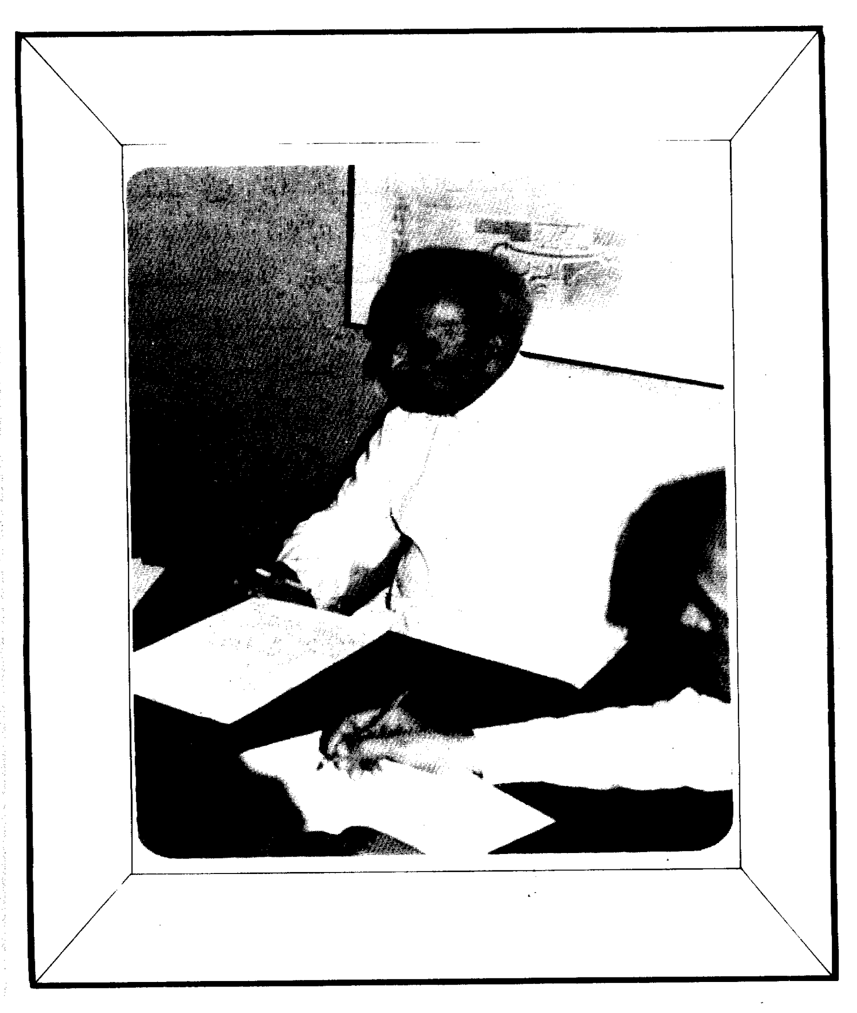
أهمها وأبرزها مشكلتان أساسيتان:

المشكلة الاولى: الوضع الاقتصادي، من واجبنا ان ننبه الغربيين كيف يستطيع الإسلام أن يعطي تصوراً جديداً، أو نموذجا جيداً لحل المشكلات الاقتصادية، ليس على النمط الأمريكي، ولا على النمط السوفياتي.

المشكلة الثانية: الازمة الثقافية، وماذا نستطيع أن نقدم للعالم من حل لها. يخرجهم من حيرتهم والقلق الذي يلازمهم. والذي يعنيني وتهمني معرفته، هو أي نمط أو صيغة أو نموذج يمكننا أن نتقدم به للمجتمعات الغربية كعلاج لمشكلاتهم الكثيرة، وفي مقدمتها المعضلة الاقتصادية والازمة الثقافية.

المترجم:

يستفسر من الاستاذ **جارودي** عن السبب في انتشار



الاسلام لمدة قرن ثم توقفه على المد بعد ذلك.

القرآن اقنعني بالاسلام.

الاستاذ جارودي:

يتابع حديثه السابق باهتمام فيقول: قرأت القرآن الكريم وأعدت قراءته مرات كثيرة، ولا أدري إن كنت قد فهمته جيدا بالطريقة التي يجب على الإنسان أن يفهمه بها أم لا؟ فقد بدا لي أن الرسول عليه الصلاة والسلام جاء بدين عظيم هو أساس الأديان، لم ينكر فيه الأنبياء السابقين، بل جاءت رسالته متممة ومكملة للرسالات السابقة. ثم شرعت في قراءة الاحاديث النبوية، وعندما أتيح لي السفر إلى المدينة المنورة قمت بشراء واقتناء مجموعة الأحاديث في كتب البخاري ومسلم، فرأيت شيئا آخر، اعبر عنه بهذه العبارة الصريحة: رأيتني وكأنني أمام دين آخر. ونشأ في نفسي انطباع من قراءاتي للحديث الشريف أنني أمام دين تقليدي، فكل ماوجدته في كتب الأحاديث، وكل مارأيت الرسول عليه الصلاة والسلام

يتحدث عنه أو يشير الى فعله يتعلق بلبس الثياب أو كيفية الدخول للمكان والخروج منه، وأشياء أخرى من هذا القبيل، لاكما رأيت في القرآن الكريم عن الأساسيات التي تدلل على كمال الدين الاسلامي.

عدنان سعد الدين:

هذا هو الذي استخلصته من دراسة الاحاديث بعدما قرأتها في صحيحي البخاري ومسلم؟

المترجم:

بدا للأستاذ جارودي بعد دراسة الاحاديث الشريفة وكأنه ليس امام الدين الاسلامي الحنيف الذي قرأ عنه وتعرف عليه في القرآن الكريم، والذي هو كامل ومكمل للاديان، بل كأنه من خلال الأحاديث يقرأ عن دين خاص يعطي صورة عن حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وأموره الخاصة، فهي ذات طابع شخصي. وهذا لايثير اهتمام الغربيين ولايعنيهم أن يعرفوا كيف كان الرسول يلبس ثيابه او

نعاله، وكيف كان يأكل ويجلس ويدخل ويخرج، بل يعنيهم ويشد من انتباههم القضايا الكلية والمصيرية والأساسية في حياة الإنسان، مثل النظرة الى الكون والطبيعة والحياة والتوحيد والإيمان بالله والرسالات.

كيف يتم انتشار الاسلام

ثم يتابع الاستاذ جارودي مستطردا:

السؤال الذي أود طرحه، وتهمني معرفته، والتمس الاجابة عليه هو: هل الإسلام هو الدين ذو المجال الرحب والمفاهيم الاساسية والنظرة الكلية، أم هو مجموعة توجيهات و(قوانين) تنظم شؤون الانسان وسلوكه؟

لدي تصور عن دين كوني، هو الدين الحنيف من لدن سيدنا آدم عليه السلام والأنبياء السابقين الذين ظهروا في كل أنحاء العالم إلى نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم المكملة للرسالات جميعا، والتي عمت أرجاء المعمورة، وانتشرت في كل أنحائها. أما القوانين الاجتماعية أو تنظيم

حياة الانسان فبمقدور كل شعب أن يأخذ منها، أو يطبق في حياة أفراده ما يناسبهم، كما يمكنهم أن يصلوا إلى ما يناسبهم بالاجتهاد والقياس، كما كان يفعل أبو حنيفة أي كما جاء في فقه أبي حنيفة. وإنني متأكد وعلى يقين بأن الاسلام سوف ينتشر بكل ما في هذه الكلمة (انتشار الاسلام) من معنى إذا أخذنا بهذا النوع من الفهم بالقياس على النظائر والأشباه، وبالاجتهاد والابتكار ليصوغ كل شعب حياته الخاصة حسب البيئة والعادات دون أن نفرض أو نقيد كل الناس بشكل من الاشكال المحددة في الجانب الشخصي للفرد، عندئذ سوف ينتشر الاسلام ويعم الكون بانواره.

المترجم (موضحاً) :

يقصد الاستاذ عقلية أبي حنيفة التي أخذت بالاجتهاد والاسلوب المنطقي والعلمي بالقياس والابتكار.

كيف يسود الاسلام في اوربا؟

الاستاذ جارودي:

يعود مرة أخرى إلى الكلام عن الاحاديث الشريفة فيقول: الاحاديث الشريفة التي قرأتها في صحيح البخاري وصحيح مسلم وَصْفٌ لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته من ملبس ومأكل ومشرب، علينا أن نقلده ونحذو حذوه دون النظر إلى أوضاعنا الراهنة. أي من المفروض علينا أن نكون في حياتنا مقلدين لما كان عليه المسلمون في القرن السابع في مظاهرهم وأنماط معاشهم وحياتهم، وأرى أن تكون الامة الاسلامية التي قامت على أسس الاسلام، وأنشأها رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذجاً لنا في أمرين اساسيين، أولهما: السمو (سمو الانسان) وثانيهما: نشوء الامة وبناؤها، ففي الغرب تسود الروح الفردية، فاذا قمنا بتطبيق القياس وفتحنا مجال الاجتهاد لطرح الأساسيات والقضايا الكبرى في حياة الفرد والمجتمع، فإن المعركة تكون لصالح الاسلام، ويكون

كسبها مضموناً، وعندئذ سيلمس الغرب بأن لدينا الحل، أو بالأصح، إن الاسلام يملك القدرة ويقدم العلاج الناجع للأمراض المستعصية والمشكلات المستحكمة في المجتمع الاوربي، ولكن ـ وا أسفاه ـ فان العلاقات التي تقوم بين المجتمعات الاسلامية والغربية لاتأتي بالنتائج المرجوة، ولانلمس لها أثراً مشجعاً أو مطمئناً أو يدعو إلى التفاؤل. لقد ذهبت إلى الجزائر يحدوني تفاؤل كبير، ظناً مني أنني سوف أعود إلى موطني بالحلول المفقودة، والتي عنها يبحثون، لكنني عدت بخيبة أمل مرة بعد الذي سمعت ورأيت.

عدنان سعد الدين (مستوضحاً):

تعني ملتقى الفكر الاسلامي بالجزائر؟ وماالذي سمعتموه وشاهدتموه في هذا الملتقى؟

التاريخ لايتحرك

الاستاذ جارودي:

سمعت من كبار العلماء والشخصيات والمختصين والفقهاء كلاماً عجيبا، فقد دخلوا في نقاشات طويلة، وأمضوا ساعات كثيرة في بحث موضوعات جزئية وجانبية ولاتمت إلى واقعنا المؤلم ومشكلاتنا الكبيرة، فهم يتناقشون حول المرأة، وهل يحق لها أن تقود السيارة أو تصافح الرجل، وكانوا يستشهدون بالاحاديث الشريفة من صحيح البخاري أو صحيح مسلم، هل هذه الأمور هي التي تعطل سيرنا؟ وتوقف انطلاقتنا؟ وتعقد مشكلاتنا؟ وقبل أن أغادر الجزائر رجوت وزير الاوقاف الجزائري ألا ينشروا ماجاء في هذا اللقاء، ومادار فيه من مناقشات، وماورد في أعماله من موضوعات، كيلا يلحق ذلك أشد الأذى بالدعوة إلى الاسلام، عدت من الجزائر وقد استقر في ذاكرتي وأثار انتباهي كأن التاريخ قد توقف، لأن المسلمين لم يتحدثوا في هذا الملتقى إلا عما سبق من العصور الخالية.



المترجم:

هل تعني أن الاسلام وقف عند مرحلة، ولم يتحرك؟

الاف القضايا تنتظر حلا

الاستاذ جارودي (متابعاً):

عندما نزل الوحي في القرن السابع على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، جاء بالحلول التي عالج بها مشكلات الوقت في ذلك العصر، وبالطبع هذا لايمنع أن نجد فيها العلاج لأمراضنا وحل مشكلاتنا، ولكن أموراً كثيرة قد جدت، فالقرآن الكريم حدد للمسلمين الصيام منذ الفجر وحتى غروب الشمس، لكن بعد الاكتشافات الجغرافية واتساع مجال الانطلاق وتطور وسائل النقل وجدنا أنفسنا أمام أقطار أو بلاد كالاسكيمو يمتدّ نهارهم ستة أشهر، ويرخي الليل سدوله عليها ستة أشهر أخرى، أفلا ينبغي علينا أن نبحث في هذا الموضوع الطاريء علينا ونجد له

حلا؟ أو نصدر له حكما ليكون له فقه يصوم سكان هذا القطر بموجبه؟ إن لدينا مئات بل ألافاً من القضايا والمسائل والأمور والمشكلات التي تريد حلا وتنتظر المسلمين، لاسيما أصحاب الفكر والاجتهاد ليقولوا كلمتهم، ويقدموا الحل والدواء والحكم والفتوى والفقه والاجتهاد.

المترجم:

يريد الاستاذ جارودي من الاستاذ عدنان ان يقدم تصوره عن الاسلام وتعليقه على مادار من حديث، وماورد من موضوعات.

عدنان سعد الدين:

أبدأ بتقديم جزيل الشكر للأستاذ الكبير رجاء جارودي على هذا اللقاء الذي أتاحه، وعلى هذا الحوار الذي شارك فيه، وما أثاره من قضايا وموضوعات، لقد حضرنا إلى هذا اللقاء تحدونا رغبة الاصغاء إلى الأستاذ جارودي كي نستمع إليه ونفيد من تجربته والوقوف على الأسباب

والبواعث التي انتهت به إلى اعتناق الاسلام. أما وقد رغب في الاستماع إلى مناقشة الاراء التي عرض لها وطرحها؛ فلا يسعني إلا أن أدلي ـ بكل تواضع ـ بالرأي الذي أتقدم به وأشرحه ملتمساً قدر الطاقة الحق الذي (ندور معه حيث دار) ندور في فلكه ونسير أنى سار.

لقد أثار الاستاذ جارودي بحوثا عدة، يحتاج كل واحد منها إلى وقت مديد ودراسة عميقة، ولما كان الوقت محدودا فلا مناص من المرور السريع على مجمل البحوث، إلا اذا رغب الاستاذ جارودي بالوقوف الطويل عند بعضها واستقصاء مايريد من المعاني والافكار.

أهمية الثقافة والاقتصاد

أشار الاستاذ الفاضل إلى قضيتين أساسيتين، هما: الثقافة والاقتصاد، ونظرة الاسلام إليهما، أو خطة الاسلام فيهما.

أما الثقافة والعلم والمعرفة والبحث وقضايا الفكر فان

الاسلام فتح لها الباب على مصراعيه، وعدد مصادرها ورغب فيها ترغيبا عجيبا، حتى رفعها إلى درجة العبادة، بل ورفع بعضا منها وقدمها على العبادة في بعض المناسبات، ونرى الايات الكثيرة والاحاديث الشريفة التي بلغت العشرات قد شجعت الانسان على التأمل والتفكر والتدبر والتعقل والتبصر. فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقا يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً الى الجنة) وشجع رسول الله على شد الرحال التماسا للعلم في أي بقعة من بقاع العالم، طبقا لقوله تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.) ونبه رسول الله الى وجوب التزود بالعلم والمعرفة في كل يوم، وكأنه الغذاء اليومي كالماء والهواء سواء بسواء، وأكد على التواضع كخلق أساسي من اخلاق طالب المعرفة كيلا يركبه الغرور فيفسد عليه روحه وطموحه، وهكذا نرى التوجه الى العلم والمعرفة والثقافة قويا وحارا ، في الاصلين الاساسيين للاسلام وهما القرآن الكريم والسنة المطهرة.

بل ان القرآن الكريم بدأ التنزيل في آياته بكلمة (اقرأ)

بمعنى ابحث وتعلم وتفكر وتدبر.

عالم الغيب وعالم الشهادة

وقد عدد الاسلام مجالات المعرفة وساحاتها، فآفاقها غير متناهية، وبحارها لاساحل لها، ومن ذلك عوالم الكون وصفحات الوجود، من أصغر ذرة إلى أكبر جرم في الفضاء، وعالم النفس الانسانية المدهش في كل جزء من أجزائها المحسوسة كالقلب والدماغ، أو غير المحسوسة كالمشاعر والعواطف والتفكير والارادة، وقد أشار القرآن في واحدة من آياته الى هذين المصدرين من مصادر المعرفة (سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)، (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق)، (وفي أنفسكم أفلا تبصرون). وفي شتى أصناف العلم وضروب المعرفة يتناول النظر الاسلامي مجالين أو يوجه إلى ساحتين، عالم المحسوس، وماوراء المحسوس، أو عالم الطبيعة وما وراءها، أو مايسميه الكتاب العزيز: عالم الغيب وعالم الشهادة، ولكل عالم وسائله وأدواته وطرقه وأساليبه: فالانسان المتعلم الذي ينشد

المعرفة في عالم الغيب إنما يبلغ مايتطلع إليه بالاستدلال في جانب منها، وبالوحي في الجانب الأهم والمطلق منها، وإلا فكيف يسلك الطريق إلى معرفة ربه وما أبدعه من خلق عجيب، وكيف يعلم نبأ الآخرة والحساب والصراط والجنة والنار والخلود في عالم الغيب، وأما عالم الشهادة فإن الانسان يستكنه أسراره ويعلم أخباره بالبحث والمشاهدة والتجربة والاستنتاج والاستقراء، ومن الخطأ الفادح الخلط بين العالَمين في استخدام الوسائل والطرق المؤدية إلى بلوغ وتحصيل العلم، وكثيرون قد وقعوا في هذا الخطأ، ووصفوا الاسلام بالغيبيات توهماً منهم أنه يعالج أموراً محسوسة بوسائل وطرق تخص عالم الغيب وماوراء الكون. فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مايخص القضاء والعلاقات الاجتماعية واحقاق الحقوق: (على مثل الشمس فاشهد أولا). وقبل أن أكمل الحديث أسأل الاستاذ جارودي: هل الكلام واضح ام ينطوي على شيء من الغموض؟



المترجم:

الافكار واضحة للاستاذ رجاء.

هل توقف الاسلام بعد قرن؟

عدنان سعد الدين:

اذن أنتهي من مناقشة هذه الفقرة، وأعود للتساؤل الذي طرحه الاستاذ جارودي وقال فيه:

كيف انتشر الاسلام في القرن الاول ثم توقف؟ وكيف نقدم الاسلام للآخرين من خلال الثقافة والاقتصاد؟

أما أن الاسلام قد توقف فقول نقف عنده قليلا لتكون الإجابة بعبارة موجزة: الاسلام تعثر في انتشاره ولم يتوقف قط، وإلا فكيف دخل سكان آلاف الجزر في أرخبيل اندونيسيا في الاسلام وجنوب شرق اسيا وفي مجاهل افريقيا عبر كل القرون، وحتى هذا القرن الذي نعيش فيه

ونشهد أحداثه؟ والثقافة كما شرحت في نظر الاسلام ذات أفق غير محدود، يشمل العالم المحسوس، والعالم الغيبي، ويتناول الانسان ويغوص في أعماقه، ولايبلغ الانسان بعد ذلك من ضروب المعرفة الا اليسير. (وما أوتيتم من العلم الا قليلا).

نظرة الاسلام المالية.

وأما الاقتصاد، فثمة صورة أستطيع أن أبرز من خلالها نظرة الاسلام المالية والاقتصادية. ثم ألخص ذلك في كلمتين، أولاهما: الحرية، حرية الانسان في عمله ومسعاه فيما يختاره من اختصاص أو مهنة أو عمل أو وظيفة، فالانسان حر طليق، يعمل بما يناسب موهبته وهوايته وطموحه، في زراعة أو تجارة أو صناعة دون أن يقيده قيد فيما يسعى إليه من انتاج واستثمار ينسجم وطبيعته ويتفق وقدرته على العطاء، يقول الله تعالى: (فاسعوا في مناكبها، وكلوا من رزقه وإليه النشور)، (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض، وابتغوا من فضل الله)، فالاسلام اباح الحرية الاقتصادية، بكل مافيها من حوافز وبواعث، تفجر

في الانسان قدرات كبيرة من الحيوية والنشاط والعطاء، وثانيهما: تحريم الاستغلال كيلا يأكل الانسان جهد أخيه الانسان. وبكلمة أخرى أعبر عنها بلغة العصر، عدم استثمار الإنسان لأخيه الانسان، ولهذا حرم الاسلام الغش والغبن والاحتكار، واعتبر الربا جريمة لاتساويها في الجريمة بعد الكفر جريمة أخرى: (الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس). (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله).

والاحاديث الشريفة استفظعت عملية الربا ووصفت من يقدم عليها بأوصاف مرعبة، واعتبرتهم كمن يشرب دماء الآخرين، بل لقد رآهم رسول الله في حديث المعراج يشربون الدماء جزاء امتصاصهم جهد الآخرين من الفقراء والمساكين.

أود من الاستاذ الكبير أن يقرأ هذا الكتاب الذي أضعه بين يديه باللغتين العربية والفرنسية، الا وهو بيان الثورة الاسلامية في سورية ومنهاجها، والذي تحدث عن المسألة

الاقتصادية، حديثا مسهبا أفرد لها حوالي ثلث الكتاب في المنهاج، تأكيداً لأهمية الاقتصاد في ميزان الاسلام.

من مفاهيم الاقتصاد الاسلامي

الاستاذ جارودي (مستفسراً):

هل من الممكن أن نعطي مفهوما لكلمة (الربا) بأنه استثمار الانسان لاخيه الانسان؟

عدنان سعد الدين:

بكل تأكيد... الحديث عن الاقتصاد من الوجهة الاسلامية ذو شجون وشؤون، ويحتمل الكلام الكثير، بل يتطلب الشروح التفصيلية الواسعة، ولو كان الظرف مناسبا لجاء الحديث عن الاقتصاد واسعا، ليشمل الأحكام الخاصة بالاحتكار والغش والأجور الكاملة، والضمانات الاجتماعية، وأحكام الربا وقاعدة الغنم بالغرم، واستنكار الكنز الذي يحتمل تفسيرات كثيرة، من أبرزها عدم تزكية المال، والتشجيع على العمل والحث على الزراعة، وتبجيل التجارة



القائمة على الصدق، ودفع رؤوس الأموال إلى ساحات العمل والانتاج، والتشجيع على القرض الحسن، وفقه الزكاة الذي لو طبق بجدية وأمانة لصرع الفقر وقضى عليه. ولكن الحديث في هذا الشأن يقتصر على عناوين الموضوعات والخطوط العريضة في الاقتصاد من وجهة نظر الاسلام.

نظرة شاملة في الاحاديث الشريفة.

لقد ذكر الاستاذ جارودي أن الاسلام جاء مكملا للرسالات السابقة، وهذه حقيقة ثابتة يؤكدها القرآن الكريم في الآيات الاخيرة من سورة البقرة: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لانفرق بين أحد من رسله» كما يؤكدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله كما ورد في صحيح مسلم: (مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأكمله واجمله، إلا موقع لبنة فيه... فأنا اللبنة وأنا آخر الانبياء.)

لقد ذكر الاستاذ جارودي أنه لم يجد في كتب الأحاديث قضايا أساسية، ولم يعثر فيها على أصول الاجتهاد، وإنني أختلف مع الاستاذ جارودي في هذا الشأن اختلافاً كبيرا،

لأسباب عدة أوضحها فيما يلي:

١- الحديث الشريف بما يتضمنه من قول أو فعل أو تقرير هو المصدر الثاني للاسلام عقيدة وشريعة وآدابا، أمرنا القرآن الكريم باتباعه والالتزام به بتفصيل يعلمه اهل الاختصاص، وذلك بقوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا).

٢- والحديث الشريف وإن كان يأتي بالأهمية بعد القرآن الكريم فإنه يساويه ويعدله في جملة أمور طبقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه).

٣- والحديث الشريف ليس مقصورا على ماورد في صحيحي البخاري ومسلم. بل هو موزع على صحاح أخرى، كصحاح الترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجة، ومستدرك الحاكم وموطأ مالك ومسند احمد وماجمعه الطبراني في كتبه الثلاث (المعجم الصغير والاوسط والكبير)، بل إن محدثا هنديا شهيرا هو: العلامة علاء الدين

علي المتقي الهندي جمع في موسوعته للحديث عددا منها زاد على ستة وأربعين الف حديث، وكل هذه الكتب وغيرها تناولت الاحاديثُ الشريفة الواردة فيها كل الامور التي جاء بها الاسلام من عقيدة وشريعة وآداب وأخلاق وتربية واقتصاد وعلاقات خاصة وعامة وتوجيه اجتماعي سديد.

٤ـ الاحاديث الشريفة فصلت مجمل القرآن، وحددت مطلقه، وشرحت احكامه، وفرعت كثيراً من الكليات التي اتى عليها، فالصلاة والزكاة والصيام والحج والاحوال الشخصية والمعاملات والربا والعلاقات الدولية وكثير من الموضوعات وردت في القرآن الكريم بمجملها أو بعناوينها أو مجرد ذكرها، وجاءت السنة والاحاديث النبوية بتفصيلاتها وشروحها وإكمالها.

من كنوز الحديث الشريف

وبمعنى آخر فإن الأحاديث الشريفة في تقديري لم تدرس الدراسة الوافية حتى يومنا هذا، ولم تستخرج منها الكنوز التي لاتنفد، وقد عكفت على دراسة التربية بحكم

التخصص فوجدت في الاحاديث الشريفة حلولاً عن تربية الطفل ماتزال التربية الحديثة تتخبط بالتفتيش عنها، وقد عكفت على ذلك، وتقدمت ببحوث خاصة بتربية الأطفال من الوجهة الاسلامية للمعهد الذي درست فيه والمؤتمرات التي دعيت اليها، ومن ذلك أضرب مثلا واحداً: كثير من الخلافات التي تنشأ بين الأطفال الأشقاء بعد أن يكبروا من صراع وحسد وغيرة وحقد في بعض الاحيان وكره متبادل، إنما يكمن سببها في سوء تربية الأطفال وهم صغار، والناجمة عن جهل الأبوين أو احدهما بنفسية الطفل، وذلك عندما يميزون طفلا دون إخوته، أو يلاعبونه ويقبلونه دون أن يفطنوا إلى مايحدثه ذلك من أثر سلبي في نفوس إخوته وهم ينظرون، ومثل هذه البذور من الغيرة والكراهية تكبر وتنمو مع تقدم الطفل بالسن، فإذا به يشعر بالنفور من أخيه دون أن يعلم السبب، ومن غير أن يتذكر الوالدان أنهما مصدر هذا الكره جراء سوء التربية لأطفالهم، يقول صلى الله عليه وسلم: اعدلوا بين ابنائكم بالعطية) بل إن العلاقة الخاصة بين الزوجين في معاشرة أحدهما للآخر جاءت بها توجيهات سامية سديدة، وإرشادات راقية رشيدة، وقف أمامها علماء النفس

مشدوهين، وهم يرون هذا التوجيه النبوي الخاص بالتوافق النفسي وغيره بين الزوجين. هذان مثلان صغيران - وماهما بصغيرين - أضعهما أمام ناظري فليسوفنا الاستاذ جارودي، وثمة آلاف الأمثلة والأحكام والتوجيهات والحلول التي تنتظر من ينقب عنها في كنوز الأحاديث الشريفة.

أصول التربية في السنة

وأختتم هذه الفقرة الخاصة بالموضوع الثقافي في التعريج على مثل واقعي يؤكد أصالة الفكر الاسلامي وسبقه في شتى ميادين الثقافة وحقول المعرفة، كنت مسؤولا لمدة عشر سنوات عن قسم المناهج في إحدى الدول العربية الناشئة، فاستقبلنا وفدا من اليونسكو مؤلفا من خمسة علماء مختصين في التربية، حضروا إلى وزارة التربية يبشرون في مشروع تربوي صادر عن اليونسكو يحمل اسم - ادجارفور - رئيس الجمعية الفرنسية (البرلمان) سابقا، وأحد العاملين في الحقل التربوي والمسؤول عن اليونسكو في إحدى المراحل، وصاحب هذا المشروع الذي وضع بنوده، وتبناه اليونيسكو وأرسل الوفود لتبشر به، وكانت خلاصة

المشروع هي الدعوة الى ديمقراطية التعليم والزامية التعليم والمدرسة المفتوحة ومايتبع ذلك من هذا القبيل، وكم كانت دهشة الوفد عندما سمعوا ان المسلمين الأولين بتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طبقوا هذا تطبيقا عمليا، فجعلوا التعليم حقا للجميع وواجبا على العلماء، لتثمر هذه السياسة التعليمية أجيالا من العلماء وكبار الفقهاء، كان كثير منهم قبل هذا أرقاء وفقراء، كما الزموا الناس بما ينبغي أن يتعلموه بالضرورة ولايجهلوه، وابلغ رسول الله امته بأن العلم فريضة على كل مسلم اي رجلا كان او امرأة، وأنذر القبيلة التي يجيد افرادها القراءة والكتابة ولاتعلم جيرانها إن كانوا اميين بعاجل العقوبة (والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويأمرونهم وينهونهم أو لأعاجلنهم العقوبة) وقد كانت مدارسنا منذ فجر الاسلام مفتوحة لجميع الافراد ولشتى الاختصاصات، والصلة متينة بين الاستاذ وتلميذه في مراعاة للميول والاستعدادات الفطرية، حتى تحولت المساجد الى مدارس وجامعات يتعلم من يشاء فيها بالمجان، بل ويتلقى عوناً من باب ثابت في ميزانية الضمان الاجتماعي، خاص بالمجاهدين وطلاب العلم. فهل نحن بحاجة الى مشروع ادجار فور ليسمعنا

نزرا يسيرا من حضارة زاهية صنعها المسلمون؟. وأعادوا لنا منها قبسا، فهذه بضاعتنا ردت إلينا.

الاستاذ جارودي:

يصغي باهتمام بالغ، منتظراً أن نتناول الجانب الاقتصادي من الوجهة الاسلامية بشيء من التفصيل. واذاً فلنكتف بالتحدث عن المسألة الثقافية ومايتفرع عنها من فكر وتربية وعلم. ولنقف معا على معالم في الاقتصاد من منظور إسلامي، كما نلمس أو نلمح ذلك في رحاب القرآن الكريم وفي ظلال السنة المطهرة.

خطوط عريضة من الاقتصاد الاسلامي.

وقفنا معا عند خطوط عريضة للاقتصاد الاسلامي، أو لسياسة المال في الاسلام حسب تعبير عدد من الفقهاء القدامى والمحدثين، ومن هذه الخطوط: أن الاسلام يصون الملكية ويحمي الحرية الشخصية التي تراعي الاختيار والميول والرغبات والاستعداد الفطري للانسان، وتمقت

الكنز وتدفع بالأموال الى ساحات العمل والانتاج، وتحظر الغش والاحتكار والربا الذي يؤدي إلى استغلال واستثمار الانسان لاخيه الانسان، ويضمن الحقوق لكل مواطن يدركه الفقر أو العجز أو الشيخوخة في تأمين اجتماعي مبصر ذي دخول ثابتة. والان نقف هنيهة عند نظام الملكية في الاسلام. فبالرغم من أن الملكية مصانة ولايجوز مسها او العدوان عليها أو نزعها، فإنها ليست ملكية مطلقة، بل هي ملكية نسبية، فإذا ماحصلت مجاعة عامة أو أصاب المجتمع قحط، أو انتشر مرض كالطاعون، أو اشتعلت نار حرب جاز للجهات المسؤولة أن تعالج المآسي التي تحل بالمجتمع بإجراء استثنائي تجد له الحل في هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، يقول الرسول الهادي: الاشعريون مني وانا منهم، فيسأله أصحابه: من هم الأشعريون يارسول الله؟ قال: إن الاشعريين إذا أرملوا - أجدبوا - في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جعلوا ماكان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وانا منهم. هذه القضية التي عالجها الحديث الشريف هي إجراء استثنائي لحالة طارئة وكارثة اقتصادية حلت في المجتمع، فقدم الاسلام لها العلاج من خارج القانون العام

الذي سرعان ماتعود له الولاية على المجتمع بزوال آثار الأزمة التي حلت بالمجتمع الاسلامي، وفي القرآن الكريم ورد قوله تعالى (يسألونك ماذا ينفقون؟ قل العفو) اي الفائض عن حاجة الانسان، ورغم أن بعض علماء التفسير أشاروا إلى أن الآية قد نسخت بآية الزكاة، فإن علماء آخرين ذكروا أن المجتمع يأخذ بمضمونها عندما تدعو الضرورة.

فالاسلام بهذه الحلول التي جئت على واحد من أمثلتها يتجاوز الشيوعية والرأسمالية جميعا، فالشيوعية تنتزع الملكية بشكل دائم، والرأسمالية تطلق العنان للفرد بالتملك المطلق غير النسبي أو المقيد، أما الاسلام فيحافظ على حقوق الفرد في الحرية والملكية، وعلى حقوق المجتمع عندما يصيبه الخلل ولو على حساب الفرد لمرحلة طارئة حتى يعود التوازن وتدب العافية في جوارحه وأوصاله.

بين المحدث والفقيه

نعود مرة أخرى إلى الحديث عن البخاري، ومفهوم

الاستاذ جارودي عن صحيحه وصحيح مسلم، لتشمل الاجابة جانبين، الاول: أن المقارنة بين البخاري وأبي حنيفة ليست واردة لأن الأول محدث والثاني فقيه مجتهد، والفرق بينهما أن الاول يتحرى الحديث متنا وسنداً ثم يجمعه ويقدمه، والثاني فقيه يستنبط الاحكام من الحديث كما يستنبطه من آي القرآن، فهو مجتهد يأخذ بالقياس والاستحسان والبحث عن علل التحريم والاباحة، ليبلغ - ان كان أهلا - درجة الاجتهاد كالذي بلغه أبو حنيفة والشافعي واحمد ومالك والأوزاعي ومئات الأئمة من المجتهدين العباقرة الذين خلفوا لأمتنا ثروة فقهية عظيمة لايشبهها ولايضارعها ويدانيها أي تراث فقهي أو قانوني أو تشريعي عند الرومان او الانكليز او اي امة في الارض قديما وحديثا. فقد روي عن الشافعي أنه استنبط أكثر من عشرين قاعدة فقهية من نص واحد في ليلة واحدة، فالمجتهد يبحث في النصوص، ليستخرج منها القواعد الاساسية والكلية، ويستنبط منها الحلول والاحكام والفتاوي لكل مجتمع وكل بيئة وكل شعب وكل ظرف وكل حادث. ومن هنا وردت قاعدة: (تغير الاحكام بتغير الازمان)وقاعدة (الفتوى تقدر زمانا ومكانا وأشخاصا)، ومن هنا كذلك صاغ الإمام

الشافعي مذهبه في العراق، حتى إذا انتقل إلى مصر وألفى ظروفا وأحداثاً غير التي واجهته في العراق ، أعاد النظر في عدد من الأحكام والفتاوى، وصاغها من جديد في مذهب فقهي عرف بمذهب الشافعي الجديد في القاهرة ، تمييزاً عن مذهبه القديم الذي صاغه في بغداد.

شمول الاحاديث الشريفة

اما الجانب الثاني الذي تشمله الإجابة على مفهوم الاستاذ جارودي للحديث الشريف. فأذكر فيها أن الأحاديث التي أثبتها البخاري في صحيحه لم تأت قاصرة على وصف حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم مأكلا وملبسا ومسلكا. بل شملت جميع الموضوعات، وتناولت كثيراً من الأبواب، مثل الطهارة والعبادة والمعاملات والجهاد والحوار مع اهل الكتاب والأحوال الشخصية كالزواج ومايتفرع عنه ومايترتب عليه، وأما الجانب الخاص بالحياة الشخصية فهذا الجانب على غاية في الأهمية، ليس فقط لأنه ينقل لنا صورة ناطقة عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في علاقته بأهله وخادمه، وفي

سمته وصفاته وشمائله، وفي طعامه وشرابه، وفي أخلاقه العالية من كرم وحلم وعفو وشجاعة وحب للناس وعطف عليهم، وإغاثة للملهوف ونصر للضعيف والتلطف بالصغار وبكبار السن، فالرسول هو المثل الاعلى لكمال الانسان، وهو القدوة للمسلمين والاسوة لأمته (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا).

دور السنة في وحدة الامة

ومن ناحية أخرى فإن تجانس الأمة في ازيائها وعاداتها وتقاليدها ينطوي على دلالة كبيرة في تقارب آرائها وأفكارها، وأحيانا في معتقداتها، فالاسلام الذي أنزله الله على رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم دين خاتم فيه الجلال والكمال، ومن مقوماته الشمول والعالمية، فهو يشمل حياة الانسان الخاصة والعامة، وينظم له أمور دينه ودنياه، ويربي فيه العقل والعاطفة، ويجمع في منهاجه بين أشواق الروح ودواعي المادة (مافرطنا في الكتاب من شيء). الاسلام يبني امة موحدة في عقائدها وأفكارها، متجانسة في

تقاليدها وعاداتها وازيائها. والسنة المطهرة والاحاديث الشريفة مصدر أساسي في تكوين الشخصية المسلمة وفي صياغتها، فافراد الأمة المسلمة متجانسون في أنماط حياتهم، وفي مأكلهم ومشربهم وملبسهم وعاداتهم الفردية وعلاقاتهم الاجتماعية، وكل هذا يمهد إلى وحدة شعورية تنعكس بشكل أو بآخر على الآراء والأفكار والمعتقدات، وعلى العكس من ذلك فان التقاليد والعادات إذا تباينت وتناقضت تترك بصمات وآثاراً سلبية على الوحدة الفكرية، ومن ثم وعلى مدى بعيد في معتقداتها. وعندما تتغير أحوال أمة من الامم وتنتقل من حالة إلى اخرى فإن هذا التغيير لايكون البدء فيه من العقيدة. وإنما في الازياء ثم يمتد الى العادات فالتقاليد، وينتقل بعد ذلك إلى الآراء والافكار، وأخيراً يتناول العقائد ليجتثها من داخل النفوس والأفئدة، وليغرس عقائد أخرى في مكانها.

خطة المبشرين في غزو المسلمين

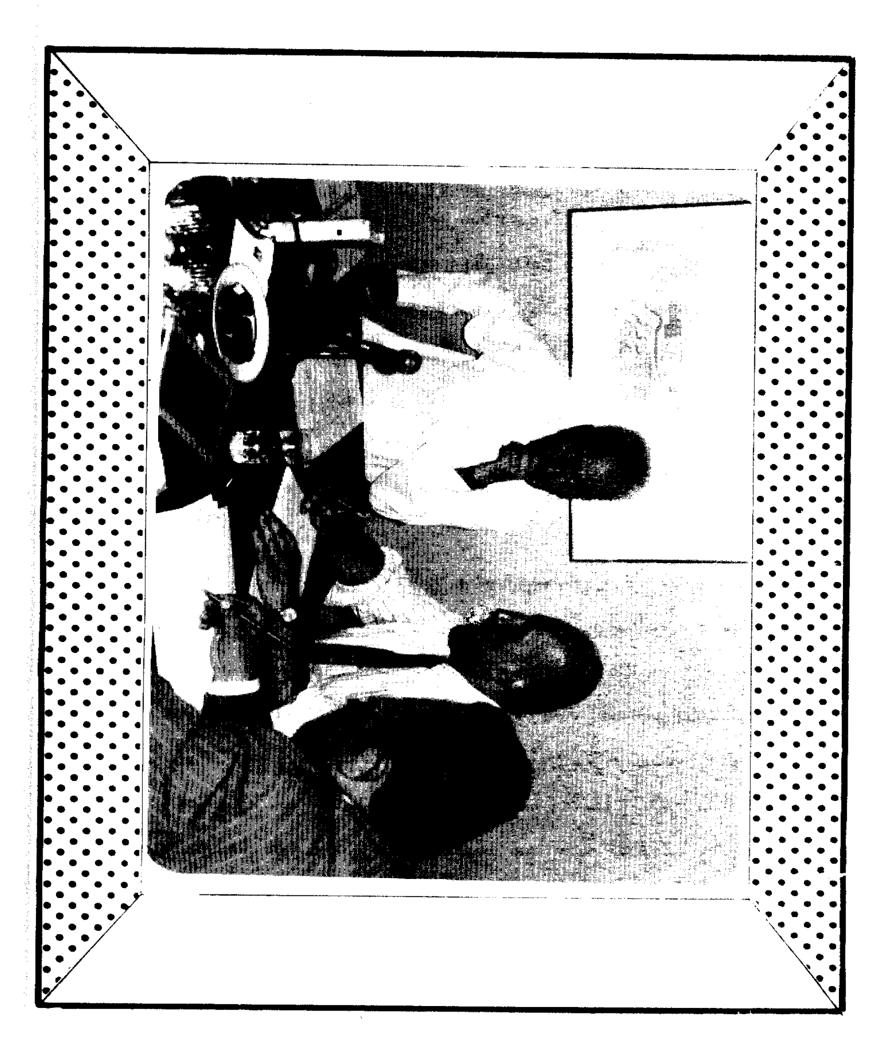
عندما وضعت جمعيات التبشير برامجها في غزو العالم الاسلامي قررت أن استهداف العقيدة باديء ذي بدء غير

ممكن، وسينشأ رد فعل يؤدي إلى عكس ماتريد، وستقوى حمية المسلمين وتشتد غيرتهم ويزداد استمساكهم بعقائدهم، ونكون بذلك قد ارتكبنا خطأ فادحا. إن الخطة المثلى في غزو المسلمين لتحويلهم عن معتقداتهم ينبغي أن تبدأ بأمور لاتثير ردود فعل، ولكنها تمهد لنا الطريق، فليكن البدء بتغيير الازياء ثم بادخال عادات جديدة وتقاليد تباين تقاليدهم وتختلف عنها، ثم بغزو فكري يزاحم أفكارهم ويحل محلها، وفي آخر المطاف يسهل تحويل المسلمين عن عقائدهم بعد التشكيك بصحتها وصلاحها، فيفقد المسلمون المناعة والثبات، ويكون من اليسير قبولهم لمعتقداتنا التي نبشرهم بها والشروع باعتناقها ... وقد لفت أنظار المسلمين إلى هذا المخطط المبرمج الدكتوران الخالدي وفروخ في كتابهما الرائع: التبشير والاستعمار.

فالأمة القوية المتماسكة تكون موحدة في معتقداتها وافكارها، متجانسة في أعرافها وتقاليدها، متشابهة في عاداتها الاجتماعية وأزيائها، فالعربي أو المسلم الذي ينتقل بين حضرموت وصنعاء والرياض ومكة المكرمة والمدينة وعمان ودمشق وبغداد والقاهرة والخرطوم

وطرابلس والقيروان وتلمسان وفاس ، بل في استنبول واسلام اباد وكوالا لامبور وجاكارتا يجد ويلمس تشابها قويا في عادات الناس وأخلاقهم، وفي أنماط حياتهم الاجتماعية، في السلام، وتشميت العاطس، وعيادة المريض، وتقاليد الضيافة والكرم، وكثير من المظاهر في حياة الرجال والنساء على حد سواء. وكل هذا مأخوذ عن السنة النبوية التي هي مصدر توحيد الامة في الافكار والمشاعر والتقاليد. علاوة على وحدة العقيدة والعبادة والتشريع في كل مذاهبه ومدارسه الفقهية.

لم يفت علماء الاجتماع وهم يبحثون في نشوء الامم ومقومات تكوينها أن يذكروا بجانب اللغة والتاريخ والعقيدة والأرض والمصالح المشتركة ووحدة الآمال والآلام أن يضيفوا إلى ذلك العادات والتقاليد والأعراف الراسخة ذات الأثر الكبير في وحدة الشعور كعامل قوي في وحدة الأمة. إن الأمة التي يتباين أفرادها في أفكارهم ومشاعرهم وتقاليدهم تنحل عراها عروة عروة، وتصبح معرضة للتفكك والزوال.



الاستاذ جارودي:

ألست ترى أن هذا الركود الذي حلّ بالأمة جاء بسبب بعض الأحاديث التي تنهى عن التجديد، وتنص على أن التجديد بدعة؟!

عدنان سعد الدين:

لم يرد في أي من الاحاديث الشريفة مثل هذا القول، والنص القائل: كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، إنما يعني أمور العقيدة والعبادة، فكل إضافة أو حذف في أصول العقيدة والعبادة هو ضلال وانحراف بالاسلام عن جادته، أما ماوراء ذلك، فالعكس هو الذي حدث، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ان الله يرسل على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الامة دينها. يقول احمد بن حنبل: نظرنا في رأس المائة الاولى للبعثة فوجدنا عمر بن عبدالعزيز، ونظرنا في رأس المئة الثانية فرأينا محمد بن ادريس الشافعي. فالرسول يحث على التجديد ويبشر به. والفقهاء الكبار كلهم من المجددين والمصلحين، والتجديد

بمعناه الواسع يحدث على يد عالم موهوب شرح الله صدره بنور الايمان. وعقله بضياء المعرفة، فقدم للناس الاسلام بثوب قشيب وحلة زاهية، وكشف عن معاني ثمينة وأفكار نيرة يستخلصها بعبقريته ومواهبه العالية من النصوص والسيرة وحياة الرسول والذين آمنوا معه، ويقيس عليها الاشباه والنظائر. ويكشف عن العلل والبواعث ويبني عليها، فيقدم لعصره وأحيانا لما بعد عصره الحلول التي يعالج بها مشكلات الجيل. ويخرج الناس من الحرج، ومما يعانون من أزمات، وهكذا أثرى الاجتهاد تراث الامة وأغنى فقهها بثروة عظيمة لانظير لها، ولا أحد يستطيع أن يوقف الاجتهاد أو يغلق بابه أو يحجر على المجتهد فيسجن عبقريته في شرنقة، ويطفيء وهجها، أو يفرض عليه شروطا أو يضع عليه قيودا، فالموهبة تعبر عن ذاتها، و العناية الالهية تدرك هذه الامة بالمجددين والمصلحين والقادة والمفكرين ليجددوا لها دينها وحياتها وشبابها، ويرتقوا بها في مدارج التطور والسمو والكمال.

عندما يقف الاجتهاد في الامة الاسلامية فترة مهما كانت قصيرة فإنها تكون عرضة للجمود والركود ثم للتقهقر

والتخلف، وتكون دورتها الحضارية أو تطورها الحضاري مدعاة للتراجع والأفول.

صرف الاجيال عن أهدافها

الاستاذ جارودي:

يشير إلى خيبة أمله بعد حضوره ملتقى الجزائر وزيارته لمشيخة الأزهر في القاهرة.

عدنان سعد الدين:

مارأيتموه في ملتقى الفكر في الجزائر، وماصادفتموه عند زيارتكم لمشيخة الازهر ليس مصادفة، ولايعبر عن مستوى شعوب الأمة الاسلامية أو عن طموحها وأمالها، بل تقصده الحكومات وتعنيه وتخطط له، لأن معظم الحكومات التي تهيمن على مقدرات الوطن العربي والعالم الاسلامي لاتسمح للفكر الاسلامي أن ينطلق من سجنه، والجزائر بالذات لاسيما في عهد ابو مدين، تضيق ذرعا بحرية

شعبها، ولاتتيح له فرصة الانطلاق. إن الأجيال المعاصرة من أبناء الامة الاسلامية تتطلع إلى الحياة الحرة، فلقد ضاقت ذرعا بالقيود التي أثقلتها، وبالاقفال التي كممت بها أفواهها. وبالأنظمة الدكتاتورية والقسرية التي تحصي على الناس أنفاسهم وعدد المرات التي يدخلون فيها إلى المساجد، يريدون الحرية كما يطلبون الغذاء والماء والهواء. الاجيال تعيش حياة الكبت والقهر، وتعاني آلاماً وحرمانا واضطهادا، فهي تتململ وتتحفز للتمرد على هذه الأوضاع السيئة، لذلك يملأ الحاكمون فراغ الشباب باللهو والعبث والإدمان على الرياضة. وكذا بالقضايا الجانبية والبحوث السطحية والفكر السقيم والجدل العقيم، ليصرفوها عن قضاياها الاساسية في الحرية والتقدم والتصنيع ورعاية الأخلاق وشحذ الهمم وتعبئة الامة وتربية أجيالها على الصلابة والقوة والايمان العميق والفهم الدقيق والعمل المتواصل، سيما وأن معظم الحكومات تعلم أن الاسلام مقبل على دورة حضارية أخرى تدلل عليها وتبشر بها هذه اليقظة الاسلامية التي يشهدها العالم في الربع الأخير من هذا القرن، فيتحفز خصوم الاسلام لمواجهتها والعمل على اجهاضها.

مفارقات عجيبة

من الذي كان يتصور أن الإنسان المسلم يستطيع ان يعبر عن فكره ويعلن عن رأيه في أوربا وفي مدينة مثل جنيف مقر اتحاد الكنائس العالمية بحرية لايملكها في وطنه أوفي العواصم التي شهدت بناء الحضارة الاسلامية في مشرق الوطن العربي وفي مغربه؟!!!

من كان يخطر في باله أن جماهير الشعب الفلسطيني تملك من حرية التعبير والتظاهر والرفض في ظل الاحتلال الصهيوني - أعدى أعداء العرب والمسلمين - أكثر مما تجد في معظم عواصم الوطن العربي والعالم الاسلامي؟!! أليس هذا عارا مفروضا على جماهير أمتنا بالنار والحديد؟!

أين مشيخة الازهر سابقا مما هي عليه الآن؟ كان شيخ الازهر يحرك المسلمين بتصريح يدلي به. كان الأزهر ملاذاً للشعوب الاسلامية تنهل منه العلم والفكر والثقافة، وكان موئل المجاهدين في تصديهم للغزو الاجنبي، وكان يبث

المبادىء والروح الوطنية في جماهير الشعب، من الأزهر أعلنت مصر ثورتها ضد الاستعمار الفرنسي بقيادة نابليون، ومن الأزهر أعلنت ثورتها عام ١٩١٩ ضد الانكليز، إنها لمأساة كبرى أن يهدم هذا الصرح العريق العتيد. ويحول إلى أداة بيد الحكومات، يأتي شيخ الازهر بمرسوم ويصرف بمرسوم، ويصدر من الفتاوى مايؤيد فيها وجهة هذا الحاكم أو ذاك. وليس التأييد الذي أصدره شيخ الازهر بالتفاهم مع إسرائيل في العهد الساداتي عنا ببعيد. فالذي يقدم نفسه عبداً رقيقاً منافقا يتسلم أخطر المسؤوليات الدينية والدنيوية، والذي يعبر بصدق وإخلاص عن رأيه وفكره، ويريد لهذه الامة أن تكسر قيودها وتقتحم الاسوار التي ضربت من حولها، لتؤدي دورها، يرفع على منصة الاعدام ويوضع حبل المشنقة في عنقه، كما جرى للشهيد سيد قطب رحمه الله ولكثير من الاحرار والمفكرين والمصلحين في الامة الاسلامية. وكل مواقف الحكومات ـ الا مارحم ربك ـ في هذا الشأن سواء، يمينية كانت او يسارية. والغرب والشرق يشجع هذه السياسة ويؤيد الحكومات في طغيانها ضد شعوبها في الوطن العربي والعالم الاسلامي، أما في الغرب فموقفهم على خلاف ذلك، فهم يشترطون

للاعتراف بحكوماتها أن تمنح شعوبها الحرية وأن يكون الحكم فيها ديمقراطيا... سبق واشترطوا ذلك على حكومة اليونان وإسبانيا والبرتغال.. فالخميني كانت أوربا تكرهه وتنتقده وتسخر منه، حتى اذا أشعل النار في المنطقة وزجها في حروب طاحنة تبيد جماهير المسلمين من عرب وايرانيين وقف الغربيون معه بالعلن حيناً وبالسر أحيانا وأمدوه بالسلاح والذخيرة ليتابع مهمته في تدمير المنطقة وقتل أبنائها من العرب والمسلمين.

حوار مع التلفزيون الفرنسي

كنت في زيارة للتلفزيون الفرنسي، فكان لقاء مع مسؤول القناة الثانية التي تُعنى بالأحداث العالمية الساخنة، فابتدرني بهجوم حاد دون أن يمهد له أو يكون له مبرر. قال: أنتم العرب والمسلمون، تحترفون الارهاب، وتمتهنون سفك الدماء، وتحترفون التخريب... واندفع هكذا في هجومه كسيل عرم قبل أن أشرع معه بأي حديث. ولم يكن هدم مدينة حماة وقتل سكانها وتشريدهم قد مر عليه وقت طويل، فأجبته مبتسما: لست مفاجأً بهذا الاتهام، ولا

أستغرب منك هذا التهجم، بل ولم يدهشني هذا النمط من التفكير لدى الغربيين.

الاستاذ جارودي(متسائلاً):

عندما كان يحدثك وتحدثه، هل استقبلك على انك من تنظيم اسلامي؟

عدنان سعد الدين:

نعم، كان يحدثني على أنني من المعارضة السورية، ومن أبناء الدعوة الاسلامية..

أقول: ليس غريبا أن تفكروا على هذه الشاكلة، فهذا هو إفراز الحضارة الغربية.

بين حضارتين

هذه الحضارة التي تبصر بعين واحدة، وتسمي الأشياء

بغير أسمائها، تسمي بيغن رجل السلام وتضع غصن الزيتون بين يديه، وعندما يذبح أو يأمر بذبح آلاف الأطفال والنساء والشيوخ والآمنين الأبرياء في صبرا وشاتيلا يعطى جائزة نوبل للسلام، والذين يقتل أطفالهم وأهلهم وتخرب مدنهم تسمونهم بالقتلة والإرهابيين. أود أن الفت نظركم وأنوه لكم أنني انتمي إلى امة قال نبيها الذي أخرجه المشركون الوثنيون من وطنه، وصادروا ماله وقتلوا أنصاره، قال لهم عندما انتصر عليهم، وشخصت أبصارهم إليه ينتظرون صدور كلمة الموت من بين شفتيه: ماتظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء... وعندما احتلت الجيوش الصليبية بلادنا وأبادت أعداداً كبيرة من شعبنا، وذبحت سبعين الف مواطن في القدس وحدها حتى خاضت سنابك خيولهم في دماء الأبرياء، ومكثوا على أرضنا مائتي عام كيف قابلهم المسلمون؟ وكيف عاملهم السلطان صلاح الدين؟ عندما نصره الله عليهم، وأمكنه منهم؟ لم يعاملهم بالمثل، وإنما فك أسراهم، وداوى جرحاهم، وأعاد إلى وطنه من رغب العودة منهم، ورعى أطفالهم، وجمع شتات أسرهم، وهذا ماسجله واعترف به مؤرخوكم، وماسجلته كتبكم وموسوعاتكم، فهذه

هي حضارتنا وتلك هي الامة التي انحدرنا منها وننتمي إليها، واذا بمسؤول القناة الثانية من التلفزيون الفرنسي، يبش ويتهلل وجهه بالانشراح والارتياح، ويقول بشكل عفوي لاتكلف فيه كلمة بالفرنسية يقابلها بالعربية كلمة (ياسلام).

اين الامة الاسلامية؟

كنت في باكستان منذ فترة وجيزة، حضرت مؤتمرا في عاصمتها إسلام اباد، تمت فيه دراسة ومناقشة مشروع دستور إسلامي، وحضره زهاء مائة شخصية مختارة من رجال الفكر والقانون والدعوة والسياسة، تحدث معظمهم وكانت الأحاديث في جملتها تشيد بالصحوة الاسلامية وتباهي بها. وعندما أعطيت الكلام لمدة خمس عشرة دقيقة، قلت للسادة أعضاء المؤتمر: أنتم تتحدثون عن الصحوة الاسلامية في الأمة الاسلامية، وأنا لاارى للامة الاسلامية أثرا، نعم يوجد أفراد مسلمون، ولكن لايوجد في هذا العالم أمة اسلامية بالمعنى الشرعي والحقوقي والواقعي. لو كان في عالمنا أمة إسلامية لزحف الملايين من أبنائها إلى الحدود

العراقية الايرانية، وحجزوا بين المتحاربين، دون أن ينتظر المسلمون هذه السنوات، وكأنهم في ملعب يشاهدون فيه مباراة في كرة القدم. لو كانت الأمة الاسلامية موجودة لما سمحت بهذه المهزلة أو الحرب المخجلة التي تسمى بحرب الصحراء بين الدولتين العربيتين المسلمتين المتجاورتين الشقيقتين المغرب والجزائر هذه السنوات الطوال، والتي كادت تقضي على مقدرات الدولتين الشقيقتين المادية والعسكرية وعشرات الآلاف من الضحايا البريئة. لو كانت الأمة الاسلامية موجودة لما سمحت للصهاينة أن يحتلوا فلسطين وشطرا من سورية وقسما من لبنان وجزءاً من مصر، وأن يسيطروا على بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين. والمسلمون يأكلون ويشربون ويمرحون وكأن كارثة لم تحل بساحاتهم، وكأن الصهاينة لم يحتلوا الارض التي هي من أقدس مقدساتهم!!

أوربا تحمل أحقادها

إن الغرب يقف صفا واحدا تجاه أي قطر عربي أو إسلامي يعزم على النهوض ليعرقل مسيرته أو يحتل أرضه

أو يسلط عليه عدواً من حلفائه أو يشعل نار حرب داخلية بين طوائفه وأحزابه وأقاليمه، فالعراق وباكستان صمما على استخدام الطاقة النووية فشغلوا الاولى مع ايران لتحطيم الدولتين، وشغلوا الثانية مع حكومة افغانستان الموالية لموسكو من ناحية، وفي نزاعات اقليمية داخلية بين السند والبنجاب وغيرهما من ناحية.

عندما عزم الامام حسن البنا رحمه الله على أن يجدد لأمته شبابها، ونفخ في الشعب روح التمرد على الاستعمار والتخلف والفرقة، وربى الشباب على الطهر والجندية وروح الفداء، قتلوه وهو في أوج شبابه وعطائه، ولما يتجاوز الثانية والاربعين، ولو قدر لهذا المصلح الكبير ان تمتد به الأيام لأحدث بإذن الله تغييرا جوهريا في المنطقة كلها.

ان كل القوى الكبرى والمعادية تتعاون وتلتقي على منع العالم الاسلامي أن ينهض من كبوته، وأي خطوة إصلاحية يقدم عليها، أو تقدم عليها بعض أقطاره تواجه بالقتل والاغتيال، سواء تجسدت في شخصية مثل الشهيد حسن البنا، أو في حركة مثل جماعة الاخوان المسلمين، أو في دولة مثل عشرات الدول العربية والاسلامية في آسيا



وإفريقيا. فأندونيسيا ينهكها التبشير ودعم الاستعمار له، وباكستان تشطر إلى غربية وشرقية، وأفغانستان يحطمها الانقلاب والانقسام الداخلي والحكم اليساري المدعوم بالجيش السوفياتي.

إن الغرب لايسمح لوطننا العربي وعالمنا الاسلامي بالنهوض مهما كان الثمن، وأيا كانت الإجراءات الزاجرة التي يتخذها لوقف تقدمنا والحيلولة دون تنميتنا ووحدتنا. إن واقعنا لايدعو الى التفاؤل ولايوحي بانفراج قريب، أو انطلاقة جادة في الاصلاح والنهوض، فالأعداء يتربصون في داخل الوطن وخارجه، فاذا ماقام رجل بالاصلاح قتلوه، واذا تحرك حزب أو جماعة اغتالوها، واذا نهضت دولة هدموها، ولكن الآمال تبقى معلقة أولا وثانيا بقوة المبادىء الاسلامية التي تفرض وجودها بمنطقها وصلاحها وقدرتها على إنقاذ الناس وإخراجهم من ظلمات الجهل والاستبداد والشقاء إلى نور العلم والحرية والسعادة.

إهابة بالاستاذ جارودي

كلمة اخيرة أوجهها إلى الاستاذ الكبير ناصحا أن يحذر من الحكومات، وأن لايرتبط بها، وأن يبقى حراً في فكره، طليقاً في كل مواقفه، يقدم النصح لله خالصا، ولتبصير الأفراد والجماعات وفتح أعينهم على الحقائق، ولعله يقوم بدور فعال للعمل على إيقاف هذه الحرب المجنونة بين ايران والعراق، لأنها حرب يهدف من يقف وراءها ويعمل على استمرارها وإذكائها إلى القضاء المبرم على المسلمين في أي بلد ومن أي شعب، والغربيون بشقيهم اليميني واليساري يعملون على تأجيجها وتسعيرها واستمرارها بكل الوسائل، حتى يحطموا الاطراف المتحاربة جميعا، ويهدموا صروحها الحضارية، ويوقفوا حركة التنمية في بلادها، ويستعيدوا الأموال الطائلة التي دفعوها ثمن البترول الذي استوردوه في السنوات الماضية من إيران والعراق ومن دول الخليج.

ليت الاستاذ جارودي يوجه النصح للايرانيين ليفهمهم أن إصرارهم على استمرار الحرب ليس مؤذيا للعراق ودول

الخليج والعرب فحسب، بل سيكون مؤذياً لهم ومدمراً لكيانهم مثل غيرهم، أو على الاقل كغيرهم سواء بسواء.

الاستاذ جارودي:

أشكركم على هذه التوضيحات التي اكتسبت الكثير منها، وأزالت ركاما من الغموض، ولكن المهم أن لانضيع الوقت في الاهتمام بالجزئيات، بل أن نجد أو نوجد خطة شاملة نتعاون على تنفيذها وتطبيقها والأخذ بها.

عدنان سعد الدين:

أرحب بهذا المقترح، وأنا على استعداد للعمل كي نخرجه إلى حيز الواقع، واذا شئتم أكملنا الحوار في باريس حيث يقيم الاستاذ جارودي أو في جنيف، وثمة أصدقاء واخوة كثيرون يشاركون في اللقاء وتحقيق هذا الهدف.

الاستاذ جارودي وخطة العمل

المترجم:

الاستاذ جارودي يستوضح فيما إذا كان لديكم كتاب أو دراسة تتضمن خطة واسعة تشمل الكليات والجوانب العقائدية والفكرية وأسلوب التطبيق.

عدنان سعد الدين:

أقرب الدراسات إلى مايبحث عنه الاستاذ جارودي موجود في: بيان الثورة الاسلامية ومنهاجها في سورية، فقد احتوى خلاصة مركزة عن أفكارنا وتوجهاتنا السياسية داخليا وخارجيا، ونظرتنا الاقتصادية ومجمل آرائنا في الحياة الدستورية والقضائية والتربوية وغيرها.

الاستاذ جارودي:

هل توجد كتب للاستاذ حسن البنا مترجمة من العربية إلى الانكليزية والفرنسية؟ وكيف يتم الحصول عليها؟

عدنان سعد الدين:

ترجمت رسائل الشهيد حسن البنا رحمه الله الى معظم اللغات الحية المعاصرة، ومنها الفرنسية والانكليزية، وكذلك إلى اللغات الشرقية كالأردية والتركية والماليزية.

المترجم:

الاستاذ جارودي سألكم: هل ثمة أيديولوجية أو أفكار مشتركة بينكم وبين إخوان الصفا أو مأخوذة عنهم؟

عدنان سعد الدين:

لاوجود لمثل هذه العلاقة ولاصلة بين الاخوان المسلمين واخوان الصفا من الوجهة الفكرية أو التاريخية أو الايديولوجية، فإخوان الصفا حركة غامضة تركت رسائل مبهمة مفلسفة لاسماء رمزية أو مجهولة أخفت نفسها ولم تجرؤ على الظهور لاسباب سياسية أو عقائدية، ومؤلفات هذه الحركة مرجع فكري وفلسفي وثقافي عن فترة تاريخية محددة، واتجاه ديني باطني أقرب مايكون إلى الاسماعيلية أو محسوب عليها، فما الذي دعا الاستاذ إلى هذه المقارنة، وماوجه اللبس في ذلك وماهي دواعيه؟ هل التشابه بالاسم؟

المترجم:

الاستاذ جارودي يقرأ كتبهم في هذه الايام، وصادف مارآه لديهم من تنظيم وتطبيق وماصادفوه من اضطهاد فاستفسر عن ذلك.

الاستاذ جارودي:

عندما أود استشارتكم بأمر من الأمور، كيف يتم الاتصال بكم؟ والالتقاء معكم؟ وأيّ العناوين والأمكنة تختارون ؟

عدنان سعد الدين:

أي شيء يخدم الدعوة الاسلامية تجدنا مستعدين للاستجابة اليه والتعاون معكم على انجازه من خلال لجان المعارضة السورية، ولجان الدفاع عن حقوق الانسان، واعضاء الاتحادات الاسلامية للطلبة المسلمين في اوروبا، والشباب الذين يكملون تحصيلهم في كل ديار الغرب.

تحذير الاستاذ جارودي من المتربصين

عدنان سعد الدين:

ربما كانت كلمة أخيرة في هذا اللقاء، طرح الآراء الحرة

متاح في العالم من كل الاتجاهات دون تحفظ عليه، باستثناء الدعوة الى الاسلام، فانها تصادف عقبات وتواجه صعوبات، وتقابل بالعداء، وهذا يدعو الاستاذ جارودي إلى أن يكون يقظا وأن يأخذ حذره، فعندما تحدث عن الحركة الصهيونية وجرائم الدولة اليهودية في فلسطين واغتصابها للأرض واضطهادها لأبناء فلسطين، أقام اللوبي اليهودي في فرنسا الدنيا عليه، ورفعوا ضده دعاوى أمام القضاء، وهذا يوجب عليه أن يحذر خطر الكيد الصهيوني من الوجهتين الأمنية والسياسية، فإن فكره الذي يطرحه وينشره عن الاسلام يحرك غيظ الأعداء، وفي مقدمتهم الصهاينة ومن يقع تحت تأثيرهم، وعلى العكس من ذلك نجد مفكراً مثل سارتر يدعو الى تأييد الحركة الصهيونية ويدافع عن دولة إسرائيل الغاصبة فاذا به يقابل بالتأييد والمديح والدعم في فرنسا وفي كل اوربا.

المترجم:

وصلنا إلى نتائج طيبة وإن شاء الله يكون هذا الحوار فاتحة خير. ونحن الان في شهر رجب، وفي جو الذكرى

العطرة للإسراء والمعراج، فلعل الله تعالى يأذن بفتح قريب، والرغبة التي يبديها الاستاذ جارودي ويؤكد عليها أن يستمع منكم عن نصائح ومقترحات لأعمال يشعر أن من الواجب انشغاله بها والعمل على إنجازها.

موضوعات الساعة

عدنان سعد الدين:

من أهم الموضوعات التي ينبغي أن تستأثر بالاهتمام والتعمق، نظرة الاسلام إلى الانسانية وإلى الاخوة الانسانية، فرسول الله المبعوث الى الانسانية والى العالمين يقول: الانسان اخو الانسان احب ام كره (و) الناس كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله انفعهم لعياله. الأفق الانساني من الوجهة الاسلامية فسيح جدا غير محدود، والحديث عنه والغوص فيه مهم للغاية، يجذب الاهتمام ويحرك المشاعر، ويلامس شغاف القلوب، ويسمو بالانسان إلى مافوق الحزازات العرقية والصراعات الاقليمية والخصومات القبلية والعشائرية والعائلية. ويدلل على أن الاسلام هو

للانسانية كلها. وأنه خاتم الرسالات ووارثها، والكلمة الاخيرة من السماء الى البشرية التي بلغت رشدها.

والموضوع الثاني الذي يجدر بحثه وشرحه وتوضيحه وإبراز نظرة الاسلام اليه وحكمها فيه هو الحرية، فهي أثمن مايملكه الانسان من بين مخلوقات الله، فالحرية مناط التكليف في الاعتقاد وكل المسؤوليات، وقد أكد عليها الاسلام تأكيداً غفل الباحثون عن أجزاء هامة فيه، فرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حرر الانسان من ربقة العبودية ومن الطغيان والخرافة والسحر والشعوذة والاستغلال والاستبداد، وقال لاعدائه الذين أمعنوا في إيذائه واضطهاد أصحابه. قال لهم بعد انتصاره عليهم: اذهبوا فانتم الطلقاء. والله تعالى خاطب نبيه كجزء من تعاليم الرسالة الاسلامية: (لست عليهم بمسيطر) (ان عليك الا البلاغ) (وما على الرسول الا البلاغ المبين) (لا اكراه في الدين) (لكم دينكم ولي دين)، وخلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعده رفعوا أعلام الحرية ونشروا راياتها وقاتلوا دفاعا عنها، وحرروا شعوب الارض من ظلم

القياصرة وجبروت الأكاسرة، وقال: الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا.

لم يفت حسن البنا الامام الملهم ان يرفع لجماعة الاخوان المسلمين شعارات ثلاثة: جعل الحرية واحدة منها، أما الحديث عن الاقتصاد فقد جاء عنه في هذا الحوار مايكفي.

المترجم: (مقاطعا):

أي حديث عن الاقتصاد في الاسلام لابد وأن يتبعه أو يرافقه حديث عن الاقتصاد في المذاهب الاخرى بغرض المقارنة والمقابلة وإظهار محاسن الاسلام وإبراز الحلول التي جاء ليواجه بها معضلات الاقتصاد.

عدنان سعد الدين:

في تقديري وضمن قناعاتي أن الاسلام جاء بالاجابات

المنشودة والحلول المطلوبة، فقد جمع مابين تأمين الانسان لحاجاته الحياتية، وبين إطلاق حرياته وتشجيع حوافزه دون قيود تضعها على فمه أو أغلال تثقل بها يديه وقدميه.

نداءات إلى الامة

ليت الاستاذ جارودي يوجه نداءات إلى العرب يحفزهم فيها إلى اقامة وحدتهم. ويحدثهم حديثا مسهبا عن أهمية ذلك في حاضرهم ومستقبلهم، فإنها سر قوتهم بعد الايمان بالله وتوحيده، فالحصانة والمناعة من جهة والمستقبل والانقاذ والخلاص من جهة أخرى يتلخص في كلمتين، التوحيد والوحدة، توحيد الله والايمان به والالتزام بشرعه القويم، ووحدة الامة وتماسكها وتلاحمها لتصبح مثل الجسد الواحد، وكالبنيان المرصوص. مثل هذا النداء له قيمة كبرى لأنه يصدر عن مفكر مجرب غير عربي، الامر الذي ينبه الغافلين ويخجل القاعدين والمتقاعسين.

ومن المفيد كذلك توجيه نداءات وإهابات إلى الشعب الايراني بالذات تناشده بالكف عن هذه الحرب المدمرة

المجنونة. أو بالوقوف في وجهها ضد محترفيها والمدمنين على تعاطيها والمصرين على دوامها، ففي هذا الدمار للمنطقة وشعوبها وأقطارها ، وهذا ماترمي إليه الصهيونية بكل أحقادها وماليها من كيد وحقد على عقيدتنا وتاريخنا ورسالتنا وعلى مستقبل أمتنا.

وفي الختام أجد من واجبي أن أذكر بقضية مهمة وموضوع خطير، ألا وهو: معاناة الشعب العربي المؤمن المجاهد في سورية، فانه وقع تحت وطأة مؤامرة كبرى شاركت فيها جهات معادية عديدة، لتعطيل دور هذا الشعب الذي أدى دورا بارزا في حركة التحرر الوطني في بلده وفي المنطقة بأسرها. إن شعبنا يعاني من اضطهاد وتنكيل وحرمان من كل ضرورات الحياة، تحكمه مافيا خطيرة تفيض بالحقد على الأمة والوطن. وتحمل أحقاد القرون ضد العرب والمسلمين، وتصفي حسابات تاريخية فظيعة. وتعطل كل مقومات الانسان المتحضر من قيم وأخلاق ومثل ودستور وقانون وقضاء وحق الدفاع وعلاقات الفرد بأسرته، وغيرته على كرامته وحرماته، وممارسة الاغتصاب لماله وآدميته وإنسانيته. نناشد كل إنسان يشعر بكرامة

الانسان، وكل مسلم يعلم أنه سيقف أمام ربه في يوم الحساب ليسأله عن اهتمامه بشؤون المسلمين، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، أن يؤدوا واجبهم تجاه شعب يعيش تحت وطأة لون من الاضطهاد والتنكيل لامثيل لهما في أي بقعة من بقاع العالم. فالحكومة التي تتسلط على رقاب العباد في سورية أخطر من كل حكومات البغي والظلم في العالم، فلولا حكومة دمشق لما استطاعت إسرائيل ان تجتاح لبنان، ولما استمر الخميني في سفك دماء المسلمين في ايران والعراق، ولما كانت معاهدة كامب ديفيد بالشكل الذي حدثت فيه، إن في اصلاح الوضع في سورية البداية الحقيقية في إيقاف التدهور الذي يحطم كيان الامة، وتصحيح المسار واستئناف الدور المناط بالعرب والمسلمين أن يؤدوه ويقوموا به كأمة خيرة تعمل على إسعاد نفسها وإنقاذ شعوب العالم لتنقذها من الظلمات إلى النور بإذن ربها.

وعلى طريق الحوار البناء مع الاستاذ الكبير رجاء جارودي وأقرانه من رجال الفكر والفلسفة من أجل بناء مجتمع فاضل يحوز أبناؤه على السعادتين، ويكون مآلهم في

الجنتين، ولمن خاف مقام ربه جنتان. فبأي الاء ربكما تكذبان.

والحمد لله في الأولين والآخرين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

تعقيب على الحوار

لهذا الحوار إيحاءات عدة، بعضها يتصل بالأفكار التي وردت فيه على لسان المتحاورين مباشرة، وبعضها يتصل به بشكل غير مباشر.

وأول إيحاءات هذا الحوار: أن المسلمين في هذا العالم يعيشون أزمات حادة تحمل الدارس والباحث والمتأمل على العديد من التساؤلات:

هل انتهى دور المسلمين؟

هل استنفد الإسلام قدرته على التأثير في الأحداث الجارية؟

هل الحضارة الإسلامية - شأن الحضارات التي سبقتها أو رافقتها - سادت ثم بادت؟

هل الأرض الإسلامية أضحت مرتعاً خصباً للطامعين، ومن ثم سبباً في الصراعات الدولية، جراء التنافس عليها، وضمها إلى تخوم الدول الكبرى، كما فعل الاتحاد السوفياتي عندما ضم إليه ملايين الكيلومترات من الأرض الإسلامية في سيبريا وفي تركستان؟!

وأياً كانت الإجابة بالنسبة لمصدرها، يبقى التساؤل الملح على أذهان الشباب المؤمن الذي قدم أغلى التضحيات في سبيل عقيدته: متى يقوم المجتمع المنشود والدولة الأمل على أسس العقيدة والقيم الرفيعة والمثل العليا التي اعتنقها، وربط مصيره بها، وهو على استعداد للاستشهاد في سبيل تحقيقها؟

وأخيراً - وليس آخراً - هل يعيش المسلمون في الوقت الراهن مرحلة الضعف والهزيمة والفاقة في العَدَد والعُدد والسلاح والمال والإمكانات التي يطلبها، بل ويفرضها منطق العصر؟!!

في مطلع هذا القرن، وفي خلال الربع الأول منه كانت

بريطانيا دولة قوية، تتقدم دول العالم في قدرتها البحرية، وكانت الشمس لاتغيب عن أملاكها ومستعمراتها التي تمتد في القارات كلها ومن حول الأرض من شتى أقطارها، وكذلك الحال بالنسبة لحليفتها فرنسا في الحرب العالمية الأولى، وكان الناس يعزون هذه القوة وهذا التفوق إلى ثراء الإنكليز ومايملكونه من ثروات طائلة سيطروا بها على مقدرات العالم.. لم يكتمل الربع الثاني من هذا القرن حتى كان الصهاينة يحتلون فلسطين قلب الوطن العربي وأولى قبلتي العالم الإسلامي، ويخضعون الرأي العام الدولي لإرادتهم ، ويسخرونه لمصالحهم. وجاء التفسير مرة أخرى: أن السبب في هذه السيطرة وهذا الظفر، هذه الثروات الطائلة التي يملكها يهود العالم، ويلعبون بها في مقدرات الشعوب. واستمرت هذه المقولة شائعة يبرر بها المنهزمون أسباب الهزيمة، ويعللون بها ماهم فيه من انحطاط وتخلف، حتى هبطت على بلادنا، ونبعت من تحت اقدامنا ثروات هائلة وأموال طائلة، بهرت الأغنياء والفقراء جميعاً، وقلبت موازين الاقتصاد لصالحنا، فإذا بنا نملك مصدر الطاقة التي تتحكم في الصناعة والكهرباء والمواصلات وكل مقومات الحضارة المعاصرة، وإذا بدخولنا ومدخراتنا تبلغ

مئات المليارات، وتفيض عن حاجاتنا، أو بالأصح عن قدرتنا على توظيفها، فملأنا بها بنوك أعدائنا والمتربصين بنا والمحتلين لأرضنا والمغتصبين لمقدساتنا في الدول الأوربية وفي القارة الأمريكية.

هذا التغير المفاجيء رافق ضياع فلسطين وقيام دولة العدو الصهيوني على أرضنا المقدسة ، واحتلال مساحات أخرى من الدول المجاورة، وضمها إلى الدولة الغاصبة. فأين هو الشعب العربي والعالم الإسلامي من هذه الأحداث والمتغيرات؟!!

هل كان الفقر سبب هزيمة؟

وهل كنا نشكو قلة في عددنا أو في كثافتنا السكانية؟

لقد ربا عدد العرب على مائتي مليون حسب التقديرات الرسمية، وزاد عدد المسلمين في العالم على مليار ومائتي مليون نسمة، واليهود لايتجاوزون بكل التقديرات سبعة عشر مليوناً في العالم كله، ومع ذلك تُمْنَى امتنا بسلسلة من

الهزائم في كل تاريخها المعاصر، بعد أن سجل تاريخ هذه الأمة أروع الانتصارات وأعظم الملاحم والبطولات بالرغم من القلة في العدة والعدد والسلاح.

كان العرب يعيشون في العصر الجاهلي على هامش الأحداث في داخل جزيرتهم، فبعث الله لهم نبيّاً من أنفسهم، وبلغهم دعوة ربهم، فآمنوا بها، وصاغوا حياتهم وفق مبادئها، وحملوا هذه الدعوة المباركة إلى العالمين، ليكونوا بها خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله.

وكان أروع مافي هذه الرسالة تمثل حملتها بقيمها، فلم يكن ثمة هوة بين الاعتقاد والعمل، أو بين النظرية والتطبيق، وبهذا النهج قدم المسلمون لغيرهم نماذج حية ومصاحف ناطقة، وكان الواحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كنا نتعلم العشر آيات من القرآن الكريم، فلا نغادرها وننتقل إلى سواها حتى نعمل بما فيها، فكنا نتعلم العلم والعمل معاً. وكان من العيوب الفاضحة لديهم، التباين بين القول والعمل، والأمر بالبر والخير وعدم

التقيد بهما، (اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم؟) (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون؟، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) وبهذا السلوك وهذه القدوة الصالحة، فتح المسلمون في جنوبي شرقي آسيا وفي إفريقيا من البلاد والأمصار أكثر مما فتحوه في سوح القتال.

لقد تنبأ ذات يوم الفيلسوف الانجليزي برناردشو أن الإسلام سيكون دين شعوب أوربا، إن لم يكن اليوم فغداً لأن الإسلام يملك القدرة على تقديم الدواء الناجع لكل مرض عضال، ولأن المباديء التي جاء بها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تستطيع حل المشكلات المستعصية التي تعاني منها شعوب العالم، فهل كان برناردشو على صواب فيما تنبأ به؟

وهل درس سبل انتشار الاسلام فيما مضى حتى وصل إلى هذا التقرير؟

من أعظم الأسباب التي تصد الناس عن اعتناق الاسلام سلوك الناطقين به والمتحدثين عنه، فالمسلمون

اليوم في حال لايحسدون عليها، وفي مستوى حضاري متدنٍ يفتقر إلى الكثير من مقومات الشخصية الإسلامية وسمات المجتمع الاسلامي، وأولها وفي مقدمتها: الإيمان والطهارة والصدق والعدل والرحمة والمساواة والتكافل والتراحم وعمل الخير والإيثار والتضحية والعفاف والشجاعة والجهاد والإنفاق وما إلى ذلك من القيم الرفيعة والمثل العليا.

ليس الناس جميعا فلاسفة يجردون المباديء عن سلوك حملتها والداعين إليها، وإنما تقرأ الشعوب الأفكار في حياة الدعاة والمصلحين واقعاً وتطبيقاً.

إن العالم كله من أقصاه إلى أقصاه يعاني أزمات حادة تهدد مصيره، وتجعله عرضة للهلاك، فالأمراض الفتاكة تسد عليه منافذ حياته، وفي كل حين يهاجم مرض جديد المجتمعات البشرية التي حصنت نفسها بالرعاية الصحية والتغذية الكافية والرفاه والنعيم غير المقيم، لينغص حياتها ويحطم مناعتها ويلغي كل الأسباب التي حصنت بها أفرادها.

إننا نسمع كل يوم نداءات وتحذيرات الأطباء والمصلحين من الأمراض الفتاكة التي توشك أن تقضي عليهم، وفي كل برنامج تلفزيوني في الدول الغربية والشرقية نسمع صيحات الإنذار دون أن يصيخ لها السمع إلا النزر اليسير، والكثرة سادرة في غيها وفي حمى الانحلال والفوضى الجنسية، ففي فرنسا زاد عدد المصابين بمرض السيدا - الإيدز - على ثلاثمائة ألف إصابة، وفي العالم بلغ عدد مرضى الإيدز زهاء عشرة ملايين وضحايا الخمور عشرات الملايين، وهاهي الحكومة الروسية تعلن أن الذين يموتون بسبب الإدمان على الفودكا أكثر من مليون ضحية في كل عام، والأدهى من ذلك: هذا السلاح النووي الفتاك الذي تملكه أمريكا وروسيا وإنكلترا وفرنسا والصين والهند وإسرائيل. هذا السلاح مصدر رعب قاتل للبشرية قاطبة، فقد قلب موازين القوة رأسا على عقب، والغى كثيرا من النظريات التي كان ذووها يؤمنون بها إيماناً راسخاً، ويخوضون الحروب دفاعاً عنها، فالزعيم السوفياتي غورباتشوف يطرح كتاباً يناقض فيه كثيراً من النظريات الماركسية، بل ويلغيها ويعتبرها لغواً، لأن الواقع والتطور في الميدان العلمي والتكنولوجي فرض على أصحابها إعادة

النظر فيها، وتغيير آرائهم تجاهها. يقول غورباتشوف : إن العالم يملك من السلاح النووي مايكفي عشره لتدمير العالم مائة مرة، أي أن الإنسان قادر على تدمير الكرة الأرضية التي يعيش عليها ألف مرة، ولذا لم يكن ثمة مجال للحرب إلا إذا أقدم الانسان على إلغاء وجوده والقضاء على الحياة برمتها في هذا الكوكب الأرضي، ومن ثم فلا بد من التعايش بين الأنظمة ليكمل كل واحد منها الآخر ويعيش إلى جانبه، وتكون الشيوعية قد تخلت على لسان كبار قادتها وعن نظرية الصراع بين الأنظمة، وعن نظرية حتمية الحروب.

فمن ينقذ هذا العالم من الخمرة العاقرة، والامراض السارية، والأسلحة المدمرة، والشهوات القاتلة؟

الصراخ يعلو في كل صقع من أصقاع العالم، فالمجتمع الاشتراكي يشكو من هبوط الإنتاج وكثرة ضحايا الخمر، ومن الإحباط الإداري، ويحاول الخروج من أزماته... والمجتمع الغربي أو الرأسمالي يصرخ مذعوراً من الأمراض القاتلة التي تفترس أبناءه، والعالم الثالث يئن تحت وطأة الديون التي أضحى عاجزاً عن أدائها، والثورات تشتعل في

كل القارات ، وأحياناً بين جماهير الأمة الواحدة، وأزمات النقد والتضخم والبورصة تحطم أعصاب ملوك المال والسياسة، والوازع الأخلاقي غدا ضعيفاً، حتى أضحت سياسة الغاب هي السائدة.

ومنابع الرحمة قد جفت في القلوب، فلم تعد المذابح ومئات ألوف الضحايا مصدر ألم أو مبعث قلق للكثيرين من أبناء حوى وآدم؟!

لقد أفلست الأنظمة والفلسفات بإقرار ذويها ومعتنقيها، فأين رسالة الإسلام في وسط هذا الزحام وأمام هذه الكوارث؟ يتوقف كل شيء على مدىً فهمنا للإسلام، واستيعابنا لمبادئه وأحكامه ومراميه، وتمثلنا العملي والسلوكي لجوهره ورسالته، على هذا يتوقف مستقبل الإسلام في الواقع الإنساني، ومستقبل البشرية حيال الإسلام.

كثير من المسلمين يقدمون صورة سلبية عن الإسلام، تؤدي في النتيجة إلى صد الناس عنه ونفورهم منه، سواء

أكان ذلك بالفهم أو بالسلوك، فمن الناس من يُعمل في الإسلام جانباً على حساب جانب آخر، ومنهم من يحمّل الإسلام من البدع والأساطير والتفسيرات المنحرفة ماجاء الإسلام ليقضي عليها، ويحرر الإنسان من شرورها وأوضارها، فإذا بالرسالة الخاتمة تُظلم مرتين، مرة بمخالفتها، ومرة أخرى بحساب هذه الأباطيل عليها!! لذلك لامناص كما قال الأستاذ البنا مجدد الإسلام بحق في هذا القرن: من فهم دقيق، وإيمان عميق، وسلوك يطابق القول فيه العمل، ويجسّد فيه المسلم قيم الإسلام تجسيداً حياً مقروءاً، يقربه إلى الناس، ويشرب قلوبهم حبه، فيدخلون في دين الله أفواجاً.

إن نظرة الاستاذ جارودي إلى السنة المطهرة، يحملنا مسؤولية كبرى في شرح الإسلام وتبليغه وتقديمه إلى الآخرين على اختلاف مستوياتهم الفكرية والثقافية بأسلوب مشرق حي يتسم بالوضوح والشمول ، فاللغة التي يخاطب بها الفلاسفة والأدباء ورجال الفكر وأرباب الأقلام غير اللغة التي نخاطب بها الأميين وأنصاف المتعلمين، طبقاً لتوجيهات النبي المرسل (أمرت أن أخاطب الناس على قدر

عقولهم). وإذا كان القرآن الكريم قد وجد من يقدمه ويترجم معانيه ويكتب حواشيه؛ فإن السنة المطهرة تنتظر مزيداً من الجهد لاستخراج لآلئها، فإن فيها كنوزاً لاتنفد، يجد المختصون في التربية وعلم النفس ـ لاسيما علم نفس الطفل ـ والاقتصاد وعلم الاجتماع وغيره ضالتهم وماهم بأمس الحاجة إليه، علاوة على أنها المصدر الثاني للشريعة الإسلامية الغراء.

الإسلام هو الأمل، ليس للعرب وحدهم، أو المسلمين دون سواهم، ولكنه للإنسانية قاطبة وللبشرية جمعاء.

الإسلام مؤهل لإنقاذ الأسرة التي تحطمت في المجتمع الغربي من القواعد، وانتهت بذلك آصرة المودة والرحمة بين أفرادها، وتقطعت صلة الرحم بين الإنسان وأبويه، فالغربي يقذف بأمه بعد بلوغها سناً محدودة في إحدى دور العجزة، ويزورها مرة أو مرتين في العام، إن كان لديه أثارة من عاطفة لم تأت عليها حضارة الغرب، والأب يقذف بابنته بعد بلوغها السن القانونية إلى الشارع، لأنه لم يعد مسؤولاً عن رعايتها وكفالتها، لتقف في احدى محطات

القطار، باحثة عن صديق يصحبها في سهراته وسكراته، والزوجة تعاشر عدداً كبيرا من المغامرين لتعثر على واحد منهم يرتضيها زوجة بعد تاريخ حافل بالعلاقات الجنسية غير المشروعة.

لقد بلغ الانهيار الاجتماعي والخلقي في المجتمع الغربي أن الأطباء والمصلحين والمفكرين يرسلون صيحاتهم وصرخاتهم محذرين من الأمراض التي تهدد البشرية بالفناء بعد أن انتشرت واستحكمت دون أن تجد من يصغي لها في خضم التردي وحمى الجنس. فالسيطرة الآن للغريزة لدى الإنسان الغربي على الإرادة، فالطبيب يشرح لك أضرار الخمر وتأثيرها على القلب والكبد وغيرهما، وعن الدخان ومايجره من أمراض كالسرطان وغيره، وفي الوقت نفسه يدمن على الخمر ولاتغادر أصابعه لفائف الدخان!!

إن أعصاب الغربي تتحطم كل يوم، ويعاني من الاضطرابات النفسية والعصبية الشيء الكثير، وعيادات الطب النفسي غاصة بالمرضى والمراجعين، ليس من جراء الخمر والإيدز والقلق فحسب، وإنما من الهزات العنيفة

والدائمة التي تسببها للمجتمع الغربي أسواق البورصة وانهيار أسعار السندات وصراع العملات وغيرها، مما جعل نسبة الانتحار في مجتمعات الرفاه والتقدم والرعاية الصحية والاجتماعية عالية جداً وفي ازدياد.

التغني بحقوق الإنسان، والاحتفال بإعلان ميثاق هذه الحقوق شيء يدعو إلى الهزء والسخرية، بعد أن أصبح همّ الدول الكبيرة ودأبها بل وديدنها قتل الشعوب، وإشعال فتيل الفتن الداخلية، وإحداث حروب بين الدول المتجاورة، وإبادة شعوب العالم الثالث ولاسيما أبناء الأمة الإسلامية في قارتي آسيا وإفريقيا.

فكيف يكون الخلاص؟

لقد جرب الغرب الفلسفات والمذاهب كافة؟ وقد تنبأ كثيرون من عقلائه ومفكريه أن الإسلام قادر أن يدرك البشرية بانقاذها من الهوة السحيقة التي تهوي إليها.. قادر أن يعيد بناء الأسرة على المودة والرحمة كما نص على ذلك القرآن الكريم (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم

أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة).

الإسلام مؤهل دون سواه على بناء المجتمع النظيف والمعافى في صحة الأبدان والأنفس، بتوجيهاته السامية، وتعليماته السديدة ليكون الإنسان طاهر القلب والنفس والبدن، ينعم بالطمأنينة وبرد الإيمان ونعمة الإسلام. وهو مؤهل كذلك على أرساء قواعد العدل بين الناس جميعاً، والإنصاف وتحرير الخلق من الظلم والطغيان والأخذ بيد البشرية قاطبة إلى شاطيء الأمن والأمان، ورحاب السلامة والسلام.

وصدق الله العظيم:

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون، الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون. وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين.

محتويات الكتاب

الصفحة

رقم الايــداع ٤٩٩٥ / ٨٨
الترقيم الدولى ٠ – ١٤٠ – ٣٠٧ – ٩٧٧